مجلة شهرية

Issue No: 148 :عدد

December 2019 شهر كانون اوَّل

نــــــور يسوع المسيح المســـــيح

Φ Ω Σ الـب الغ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دَيْرُ القِدِّيسِ سَابَا العَامِرُ

حِصْنُ الرُّومِيَّةِ الأُرثُوذُكْسِيَّةِ

إنَّ البَرِّيَّةَ الجَدْبَاء
بِهَطْلِ دُموعِكَ اخْصَبَت.
واتعابك الشَّاقَّة بِتَصْعِيدِ زَفَرَاتِكَ
أَثْمَرَت إلى مِئة ضعفٍ.
فأصبَحتَ كَوكبًا للمسكونَةِ
يَتَلأْلأُ بالعَجائِبِ
يا أبانا البَّارَّ سابا.
فتشَفَّع الى المسيح الإله
في خَلاص نفوسِنَا .

محتويات العدد

فضيحة وخطايا كثيرة ...	2
كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
في الجهاد الروحي	4
نبوءة عن عصيان الله	5
في هدم الكبرياء	6
اليقظة هي عشق الله	8
آثار مسيحيّة	9
-------	10
-------	11
-------	11
-------	12
-------	13
عيد الميلاد والمرأة الوحيدة	14
القديس والمسكونية المعاصرة	15
-------	17
حياة النُّسك.	18
المغبوط ثيودور	19
الإنسان العقلاني	20
رحمة الله الظاهرة	21
القديس نكتاريوس	22
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة عن المعمودية	24

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

في كُتب **بالاديوس أسقف آلانوبولوس** كتاب **حياة النساك لحاجب الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني، المدعو لافسوس**، والذي منه اتّخذ الكتاب اسمه (باليونانية). إحدى أَجْمَل القصص فيه تحكي عن **راهب** ترك ديره ومضى إلى **ميناء الاسكندرية** ليعمل على الرصيف. وكون المكان ميناءً، لم يكن هناك نقص **في البغايا**. كان «**الراهب**» يعمل النهار كله، وفي المساء يصرف كل ما جناه في النهار ثمنًا **لرفقة إحدى المومسات** طوال الليل.

لقد كان سَبَبَ خزيٍ لكل المسيحيين في المدينة وعارًا للكنيسة. مَرَّت السنوات وبالرغم من المناشدات والنصح، **استمرّ في طريقة حياته الخاطئة**. ومن ثمّ أتى الموت وأطلقه، كما يفعل معنا جميعًا، وكأنه دواء ليخلّصه من خطاياه، التي استمرّ في ارتكابها إلى اللحظة الأخيرة قبل موته. لكن إخوته المسيحيين استصعبوا ألّا يمنحوه دفنًا لائقًا. أتى الكهنة ليجنّزوه ويدفنوا العار معه. انتشر الخبر: مات «**الراهب العجوز القذر**». لكن مَن قد يأتي إلى الكنيسة ليطلب له رحمة الله؟

في الجنازة اكتظت الكنيسة **بنساء الاسكندرية المسيحيات الصادقات** اللواتي أتين ليودّعن لا شخصًا رقد وحسب بل **قديسًا!** أحدهم تعرّف على وجه غانية كان قد التقاها قبل زمن طويل، أسفل بالقرب من حوض السفن، لكنها لم تكن كما يذكرونها. وغيرها من النساء الحاضرات أثرنَ أيضًا ذكريات مبهمة من الماضي.

من ثمّ عرفت المدينة أن «**الراهب العجوز القذر**» كان **بالحقيقة قديسًا**، إذ كان يستعمل المال الذي يجمعه، لشراء ليلة من دون خطيئة. فكان يدفع ثمن أجساد الغانيات لِيُخلِّص نُفُوسَهُنَّ. علمت المدينة أن الرجل الذي اعتبروه **عارًا** كان **الطهارة بذاتها، والمحبة بدون زيغ، وإنكار الذات، وكلمة من الله، والصلاة والتمجيد**.

شعب الله لا يُحكَم عليهم بالطبع أثناء حياتهم بل عند نهايتها، لأنّنا حتى ولو سلكنا كما ينبغي علينا أن نكون مستعدين للشهادة وللألم. في نهاية المطاف، مَن هو حجر العثرة: الآخر أم نحن؟ **أنا هو مَن يضع للشخص الآخر قناعًا يناسب الشكل الذي أريد أن أراه به**. ربّما لأنني أخاف أن ينكشف قناعي.

وفي النهاية **ماذا سوف نعمل بالفضيحة؟** مَن الذي سوف يديرها، مَن الذي يبقيها مستمرة؟ هذا السؤال مُهِمٌ بشكل حيويّ، لأن الفضيحة التي تتعلّقُ بشخصٍ آخرَ تُتَمِّمُ وظيفة أساسية. إنها **تملأ فراغنا، فراغ أنانيتنا. من السهل أن ندين، ومن السهل أن ندمّر، ولكن من الصعب أن نقول شيئًا حسنًا، وأن نعمل من أجل الخير العام**. نحن نتبنّى لأنفسنا مواقفَ غير إنسانية، وتُؤَدِّي إلى جميع أشكال الحُكم... إننا نواجه اليوم **الخسارة النوعية للمعايير الداخلية لمجتمع كَفَّ عن التواصل...** «الحياة الحقيقية» ليست مُلكًا لنا، ولكن لأشخاص آخرين. ومع ذلك يتعيّن علينا أن نسعى إلى حياتنا الخاصة، وإلّا **عند الحساب الأخير، كتابنا الخاص وحياتنا سيكونان فارغَين**.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تقدمة عيد دخول سَيِّدتنا والدة الإلٰه إِلى الهيكل بمجدٍ إِلهيّ

«هلموا يا مُتَأَلِّهي الألباب نصفق بالأيادي في احتفالنا بهذا العيد الإلٰهي، عيد أم الله. ممجدين الإله الذي ولد منها».

نحن المسيحيين الحسني العبادة الذين نحتفل بعيد **تقدمة دخول العذراء إلى الهيكل** احتفالا ينم **عن احترام ووقار لِأُمِّ الإله**، نصفق بالأيادي فَرَحًا **ممجدين الله**، **أي المسيح** الذي وُلِدَ من أحشائها الطاهرة، تمامًا كعبور الضوء من الزجاج، هكذا **حافظ على ختم بكارة أمِّه والدة الإله النقية الدائمة البتولية مريم**.

أيها الإخوة الأحباء بالمسيح

أيها المسيحيون الحسنو العبادة

مع هذه الترنيمة البهجة والبهية يوجهنا كاتبها **القديس يوحنا الدمشقي** لأن نُمجِّد ونُكرِّم الثالوث القدوس المُحْيِي، لأن الكلمة اتّخذ جسدًا من دماء العذراء النقية الطاهرة البريئة من كل العيوب والدة الإله بنت الناصرة.

إنَّ سِرَّ التأنس والتجسد لكلمة الله،هو فعلًا لَسِرٌّ عظيمٌ وعجيبٌ وغريبٌ ، وذلك حسب اعتراف **القديس بولس**: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اَللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.» (١تيمو ٣:١٦).

لنسأل أنفسنا لأي سبب وبأي طريقة ظهر الله بالجسد؟

بالنسبة لظهور الله بالجسد، هو بحسب شهادة **القديس الإنجيلي يوحنا**: «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ.» (رسالة يوحنا الأولى ٣:٥)

بكلام آخر أيها الأحباء:

انحدر الله من أَجلِ عظيمِ محبتهِ ليتَّخذَ الطبيعة البشرية بتواضعه، رافعًا إيَّانا إلى منزلة التألُّه بالنعمة، أي أصبح الله إنسانا ليصير الإنسان إلهًا بالنعمة. «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (فيلبي ٢:٧).

الله القدوس يشارك في طبيعتنا الإنسانية لكي نصير نحن شركاء في طبيعته الإلٰهية **(لكن ليس شركاء بالجوهر الإلٰهي غير المُدرك)**. الله يصير إنسانًا كاملًا ما خلَا من الخطيئة، لكي يصير الإنسان إلهًا بالنعمة، كما يقول **القديس أثناسيوس العظيم**. وهذا (أي الله) تأنس كي نحن نتألَّه بالنعمة، كل هذا فتجسد كلمة الله هو من أجل خلاص البشرية قاطبةً، كما يُتْلَى في قانون الإيمان النيقاوي.

أما بالنسبة لطريقة ظهور كلمة الله بالجسد، أصبح حسب قول **بولس الإلٰهي** هكذا: «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، ... » (غلاطية ٤:٤).

هذه المرأة هي **الفائقة البركات، سيدتنا والدة الإلٰه الدائمة البتولية مريم ابنة القديسَيْن الصِّدِّيقَيْن جَدَّي المسيح الإلٰه يواكيم وحنة**، من بيت داود، التي أُدخلت من أَبَوَيْهَا **إلى الهيكل مُسْتَقِرَّةً في قدس الأقداس في هيكل سليمان في أورشليم**، وهكذا سَمَت وارتقَت بالنعمة لتكون والدة الإلٰه ... وقد تمَّ هذا الحدَث الجَلَل والفريد بعد خطوبتها من **البَّار يوسف الصدِّيق**... اذ يقول **الانجيليّ لوقا**: «وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ:«مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ:«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». (لو١:٢٨-٣٣).

أيها الاخوة الأحباء

إن كنيستنا المقدسة جمعتنا اليوم في باحةِ هذه الكنيسة المتواضعة

في هذه البلدة التاريخية العامرة – **بير زيت** – لنحتفل بتذكار تقدمة عيد دخول والدة الإله إلى الهيكل بمجدٍ الٰهي، شاكرين وَمُمَجِّدِينَ الله محب البشر. عاملين هذا وبحسب قول المرنم:

«إن اليوم مقدمة مسرة الله. وبدء الكرازة بخلاص البشر. فان العذراء مريم قد ظهرت فيه في هيكل الله، وتبشر الجميع بالمسيح. فلنهتف نحوها بصوت جهير قائلين: إفرحي يا إتمام تدبير الخالق».

والآن لنسأل أنفسنا ثانية (**ما معنى مُقَدِّمة مسرَّة الله، وأيضًا ما معنى بدء الكرازة بخلاص البشر**).

المعنى أيها الأحباء هو: **ولادة كلمة الله مخلصنا يسوع المسيح** من **البتول مريم** في مغارة بيت لحم.

(هذا السِّر العظيم للتقوى). يعني السِّر الذي من أَجله أصبحت الدائمة البتولية مريم مشاركة في سِرِّ التدبير الإلهي، «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ» (لوقا ١:٣٥).

هذا يعني أن الطبيعة الإلهية الساقطة بسبب **خطيئة المعصية**، قامت وتجدَّدت من خلال **شخص والدة الإله الكلية النقاوة والطهارة، والبريئة من كلِّ العيوبِ أُمِّ إلٰهنا**.

لهذا السبب يقول **المرنم** «أنتِ كرازة الأنبياء، وَجَدَّةُ الرسل، وفخر الشهداء، وتجديد جنس الأرضيين كله يا أم الله العذراء . لأننا بكِ تصالحنا مع الله، فلذلك نكرم وفودك إلى هيكل الرب».

انَّ أُمَّ الله بوفودها الى هيكل الرب تدعونا لكي نُهَيِّءَ نفوسنا لندخل كمجوس آخرين، مع هدايا تليق بالله: كالتوبة الصادقة، المصالحة، المسامحة فيما بيننا مجتهدين لنكون بفكر واحد وقلب واحد، مقدمين محبة صادقة للإخوة، عاكفين على عيادة المرضى، وزيارة المسجونين، ومعزين الحزانى والأسرى واللاجئين الذين اصطلوا بنار الحرب، وهكذا بممارستنا أعمال الرحمة الحانية، نقدر أن ندخل في افتتاح ملكوت الله أي الميلاد المجيد الذي ينبع منه: فرحٌ، وَبِرٌّ، وسلامٌ، هكذا يعلِّمنا الرسول بولس: «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (رومية ١٤:١٧).

لنشكر أيها الإخوة تلك التي وَلَدَتْ في العالم خبز الحياة أي كلمة الله ومع مرنم الكنيسة نقول :

«اليوم تُقَدَّم إلى هيكل الرب والدة الإله الهيكل الذي وسع اللاهوت. فيتقبلها زكريا. اليوم يبتهج قدس الأقداس، وتحتفل بالموسم صافات الملائكة احتفالًا سِرِّيًّا. ونحن في تعييدنا معهم اليوم نحتفل مع جبرائيل قائلين: «إفرحي يا ممتلئة نعمة، معك الرب ذو الرحمة العظمى».

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

مِنَ المقالة الرابعة : في الجهاد الروحي للقديس بُرفيريوس الرَّائي

« إنَّ ما يجعل الإنسان قِديسًا هو المحبة وعبادة المسيح ».

« عندما يأتي المسيح إلى نفوسنا، سَيُحَوِّلُ كل شيء في داخلنا ».

ينبغي أن نموت عن الإنسان العتيق ونلبس الجديد ، هذا ما نعترف به بِسِرِّ المعمودية. بالمعمودية ندخل الى فرح المسيح، « أنتم الَّذين بالمسيح إعتمدتم ، المسيحَ قد لبستم ». المعمودية الثانية هي الاعتراف، فيه يتم التطهير من الأهواء والإماتة . هكذا تأتي النعمة الإلٰهية بواسطة الأسرار.

فَلْنُصْبِحْ ممتلئين، مفعمين من الروح القدس. هنا يَكْمُن جوهر الحياة الروحية ، إِنَّهُ فَنٌّ ، فَنُّ الفنونِ. فلنفتح الأيدي ، وَلْنَرْتَمِ في حضن المسيح. عندما يأتي المسيح نربح الكل، والمسيح سيحول كل شيء في داخلنا ، سيجلب السلام والفرح والتواضع والمحبة والصلاة والتسامي. نعمة المسيح ستجددنا. إذا تُحوِّلنا نحوه بشوق ولهفة وتكريس وهيام، فسوف يعطينا كل شيء.

نبوءة عن عصيان الله في الأزمنة المستقبلة

رسالة للشيخ الجديد في الشهداء أناتولي الحديث من دير أوبتينا (١٩٢٢ م.)

ترجمة رولا الحاج

وسوف تنتشر الهرطقات في كلّ مكان وَتُضِلُّ كثيرين. سيعمل **عدوّ الجنس البشريّ بمكرٍ لكي يُشرك المختارين**، في الهرطقة إن أمكن.

لن يبدأ برفضٍ قاسٍ لعقائد الثالوث القدوس، وألوهيّة يسوع المسيح، وبتوليَّة والدة الإله، بل سيبدأ بطريقة غير محسوسة بتشويه تعاليم الكنيسة، وقوانينها، وتعاليمها الروحيّة، وهو ما قد تسلّمناه من الآباء القدّيسين بالرُّوح القُدُس.

قليلون سيَلحَظون **حِيَلَ العدوّ هٰذه**، وهم ذوو الخبرة الرفيعة في الحياة الروحية. **سيُسيطر الهراطقة على الكنيسة**، وينشرون خدّامهم في كلّ مكان. وسيُنظَر إلى الأتقياء بازدراء. قال الربّ: «من ثمارهم تعرفونهم». إذًا من ثمار الهراطقة، بالإضافة إلى أعمالهم، **اجتهدوا في تمييزهم عن الرعاة الحقيقيّين**.

هؤلاء لصوصٌ روحيّون، ينهبون القطيع الروحيّ، وسيدخلون الحظيرة (الكنيسة)، مُتَسَلِّلِينَ بأيِّ طريقةٍ، ومُستخدمين القوّة، ودائسين على القوانين الإلهيّة. يُسمّيهم الربّ **لصوصًا**. «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ.» (يوحنّا ١٠:١). في الحقيقة، ستكون مَهمَّتُهم الأولى **إضطهادَ الرعاة الحقيقيّين، وسَجنَهم، ونَفيَهم**، لأنّه من غير ذلك يستحيل عليهم **سرقة القطيع**.

لذلك يا بُنَيَّ، عندما تَرى آنتهاك ٱلتقليد ٱلآبائيّ، والترتيب ٱلإلهيّ في الكنيسة، والنظام الذي أنشأه الربّ، إعلم أنّ الهراطقة قد ظهروا، على الرغم من أنّهم في الوقت الحاضر، قد يسترون كُفرَهُم، أو يُشَوِّهُونَ الإيمان الإلٰهيّ بصورة تدريجيّة، بُغْيَةَ أن ينجحوا على نحو أفضل في إغواء عديمي الخبرة، وإغرائهم وإيقاعهم في الشِّباك.

لن يكون الاضطهاد مُوَجَّهًا ضدّ الرعاة فحسب، بل ضدّ عبيد الله كلّهم. وكلّ أولئك المنصاعين **إلى الهرطقة** لن يتحمّلوا التقوى. **اعرف هٰذه الذئاب اللابسة ثياب الحملان من خلال تصرفاتهم المتعجرفة**، وحبّهم للسلطة. **سيكونون نمّامين، وخونة، وسينثرون بذور العداوة والحقد في كلّ مكان**. قال الربّ: «من ثمارهم تعرفونهم». إنّ عبيد الله الحقيقيّين متواضعون، ويُحبّون جيرانهم، ويُطيعون الكنيسة.

سيضطهد الهراطقة الأديار بشكلٍ كبير، وسيتمّ الازدراء بالحياة الرهبانية. وسيتدّنى عدد الأديار ويتقلّص عدد الرهبان، والّذين سيبقون سيعانون الاضطهاد. سيسعى أولئك المبغضون للحياة الرهبانية، الّذين لا يملكون سوى مظهر التقوى، لاجتذاب الرهبان إلى جانبهم، واعدين إيّاهم بالحماية، وبالخيرات الدنيويّة، ومهدّدين أولئك الّذين يعارضونهم بالطرد.

ستُسبّب هذه التهديدات إحباطًا شديدًا عند الضعفاء. أمّا انتَ يا بُنَيّ فآفرح لأنّك تعيش حتّى ذاك الوقت. لأنّ المؤمن الّذي لا يُظهر أي فضائل أخرى، سيحصل على أكاليل لمجرد ثباته على الإيمان، وفقًا لكلام الربّ. «فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ،» (متى ١٠: ٣٢).

إتَقِ الربّ يا بُنَيّ. إخشَ ألّا تخسر الإكليل المُعدَّ لك، ارهب المسيح كي لا يرميك في الظلمة الخارجيّة والعذاب الأبديّ. اثبت بشجاعة في الإيمان، وإذا لَزِمَ الأمر، تحمّل الاضطهاد والأحزان الأخرى لأنّ الربّ سيكون معك... سينظر إليك الشهداء القدّيسون والمعترفون ويفرحون لجهادك.

ولكن في تلك الأيام، **الويل للرهبان المُكبّلين بالممتلكات والثروات، الّذين بسبب محبة السلام سيخضعون للهراطقة**. سيُسكّنون ضمائرهم قائلين: «**إنّنا نحفظ الأديار ونُنقذها، والرب سيغفر لنا**». هؤلاء الرهبان التعساء والعميان، لا يفقهون **أنّ الشياطين تدخل الى الدير من خلال الهرطقة**، لأنّه إذ ذاك لن يكون الدير بعد مُقدّسًا، بل مجرّد جدرانٍ غادرتها النعمة.

مع ذلك، إنّ الله أقوى من العدوّ، فلن يترك عبيده. **سيبقى المسيحيّون الحقيقيّون حتّى انتهاء هذا الدهر**، إلّا أنّهم سيختارون أن يعيشوا في أماكن منعزلة ومهجورة. لا تخشَ الأسى، **بل بالأحرى ارهب الهرطقة المُفسدة**، لأنها تُجرّدنا من النعمة وتفصلنا عن المسيح. لهذا السبب أوصى الربّ **أن نحسب الهرطوقيّ وثنيًّا وعَشّارًا**.

وهكذا يا بُنَيّ، **شدّد نفسك بنعمة يسوع المسيح**. أسرع إلى الاعتراف بالإيمان. تحمّل المعاناة كجنديّ صالح **ليسوع المسيح**. «فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (٢ تيموثاوس ٢:٣)، الّذي قال: «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ.» (رؤيا ٢:١٠).

الّذي له الكرامة والمجد والسلطان مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين. آمين

كل نسك؛ كل حِمْيَةٍ؛ كل طاعة؛ كل هَجْرِ قِنْيَةٍ؛ كل غزارة التعليم؛ باطلة إذا كانت **عادمة تواضع الرأي**، كما أن ابتداء الصالحات وكمالها هو التواضع؛ هكذا ابتداء الشرور ومنتهاها هو **شموخ الرأي**.

وهذا **الروح النجس** هو كثير الأنواع وكثير الصور، فلهذا يجتهد أن يتسلط على الكلِّ، وأية صناعة تَصَرَّفَ فِيها كُلُّ أحدٍ، **يَنْصُب له فيها فَخَّهُ**.

فالحكيم يتكبّر بحكمته، والقويّ بالقوة، والغنيّ بثروته، والحسن الوجه بجماله، والمدرب المنطق بالكلام الطيب، والنغمة بحسن صوته، الحاذق الصنعة بحذاقة صنعته، الجميل التصرف بحسن تصرفه.

وكذلك لا يفتر من تجربة الروحانيين، فالطائع يمتحنه بالطاعة أي يتعظم بطاعته، والماسك بالمسك، والصامت بالصمت، والعادم القِنْيَةِ بِهجر القِنْيَةِ، والجزيل العلم بسرعة تعلمه، والمتورع بحسن الورع، والعَالم بالعلم.

فالمعرفة الحقيقية إنما هي مقترنة بالتواضع، ولهذا يحرص أن يزرع فى الكل **الزَّوان الذي له**.

فلذلك لما عرف الربّ هذا الألم أنه أينما تأصَّل، يُطَوِّح ذلك الإنسان مع العمل الذى له، أعطانا ضده **التواضع** سلاحًا، قائلًا: «كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا». (لو١٧: ١٠).

فَلِمَ نجذب إلى أنفسنا الخفّة ومضرة العقل والرسول يقول: «إن ظن أحد أنه شيئٌ فإنما يخدع عقله؛ وكل أحد فليختبر عمله؛ وحينئذ فليكن افتخاره في ذاته لا على أحد آخر».

فَلِمَ نخادع ذواتنا **ويترفَّع** بعضنا على بعض؛ فإن كُنَّا شرفاء فى العالم ونستحقر الأدنياء فأننا نجد الرب يعلِّم: «أن الحظوظ السامية عند الناس مرفوضة عند الله».

وإن كنا ممسكين (ثابتين) فنتعالى على الضعفاء، لكن الرسول يوبخنا قائلًا: «ليس من يثبت أمر نفسه ذلك هو المدّرب المهذّب بل الذى ثبت أمره الرب».

وإن كنا نتعب فى الخدمة أكثر فنستعظم برأينا على الصامتين فأننا نجد الرب يمدح مريم (اخت مرتا واليعازر) أكثر، لأنَّها اختارت الحظ الصالح.

وإن كنا صامتين فنترفع على المتغلبين بالخدمة،فأننا نصادف الرب يُعلم قائلًا:«ما جئت لأُخْدَم بل لأَخْدُم وابذل نفسى فِدْيَةً عن كثيرين».

في كل أمر ينبغي أن نُقصي آستعلان الرأي، وأن كُنَّا جلوسًا في مكان هادئ ومبيض مسقول نتشامخ، لكن ماذا ينفعنا عمل المكان إن لم نعمل بتواضع إذ الرسول يقول: «لا نراقب الأشياء الأرضية المرئية بل التى لا ترى لأن الأمور التى ترى وقتية والتى لا ترى أبدية».

وإن كُنا نسكن في جُبٍّ، أو في مغارة ننتفخ فهذه سمات الوفاة. وعدم الاهتمام بالأمور العالمية فالأمر الذى اخترته لذاتك لتقويم الفضيلة لا

يصيرنَّ لك **سقطة الكبرياء** فَتُضَاهِي طنجيرًا لا فهم له؛ ولا يعرف العمل الذى له.

وَعِوَضَ قطعةِ حديدٍ تروم أن تُحمِّي عودًا **(العود يشتعل، لا يَحْمَى كالحديدِ)** فتحتاج أن تتخذ التواضع بقوّة، وإن كنتَ موسرًا وحاويًا حدود العدل، فأنك لم تبلغ إلى حدود **إبراهيم** الذى جعل ذاته تُرابًا ورَمَادًا.

وإن فُوِّضَ إليك الاهتمام بالشعب **فموسى** قد تقلَّد الاهتمام لا برئاستهِ شعبًا عدده ألف فقط لكن شعوب كثيرة .

لأنه بعد أن ضرب **الله مصرَ** بيد **موسى وهرون**، وَنَشَّفَ أرض البحر الأحمر، وَسَيَّرَ إسرائيل بلا بلل وَعَبَّرَهُمْ تلك البَرِّيَّة المرهبة أَقْبَلُوا **إلى تخوم أهل موآب**، فابصر **أهل موآب** كثرة الشعب كما كُتِبَ **أَنَّ موآب** قال **لمشيخة مِدْيَن**، إنَّ هذا الجمع يلتحس كافة الأشياء التى حولنا، كما يلتحس العجل النبات الأخضر من البقعة.

لأنه كان أحصى الشعب عدا النساء والصبيان وقبيلة اللاويين من ابن عشرين سنة وما فوقها، وكل من ينتصب فى مصاف الحرب من إسرائيل، فكان عددهم ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين رجلًا.

وكان رئيسًا على كل هؤلاء وصار مُنَاجِيًا لله وَمُعَايِنًا مجد الربّ؛ فلم يترفَّع قلبُهُ ولا تَوانَى في التواضع.

فقد شَهِدَ عنه الكتاب المقدس قائلًا: «والإنسان موسى كان وديعًا جدًا أكثر من كافة الناس الموجودين على الأرض».

وإن كُنتَ بَهِيّ الوجه وقويّ البأس وعليك التاج موضوعًا، فإنك لم تبلغ حدود **داود الملك** الذى واضع ذاته قائلًا:«أنا دودة ولست إنسانًا».

وإن كانت لك معرفة وحكمة ومسك **(ضبط)**، فإنك لم تبلغ حدود الثلاثة فتية ودانيال النبيّ الذين قال أحدهم: «يارب أنت هو العدل، ونحن فلنا خجل وجهنا إلى هذا اليوم؛ وأما الثلاثة فتية فابتهلوا بنفسٍ مسحوقة وروحٍ متواضع.»

فإن كان الصدِّيقون أوضحوا مثل هذا التواضع، فكم يجب أن نكون نحن الخَطَأَة أكثر تواضعًا، لأن من يترفَّع وَيُعَظِّم رأيه فذاك هو عقل البشر.

كما يقول الرسول: «إن كنتم تعيشون للجسد فستموتون، وإن كنتم تُمِيتون بالروح أفعال الجسد فستعيشون».

وغير ممكن أن يمسك الآلام من لم يُقَوِّم الفضيلة أولًا، أو ما قد سمعتم كم من مصاعب احتملها **الرسول بولس** عن **الأمانة البهية (الايمان القويم)**، لأنه كتب إلى أهل كورنثوس يقول: «فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ، فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ، فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ، فِي الْمِيتَاتِ مِرَارًا كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلاً وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، بِأَخْطَارِ سُيُول، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكَ.» (٢ كور ١١: ٢٤-٢٨).

أترانا نستطيع أن نفتح أفواهنا؛ ونبصر فضله بعد مثل عِظَم هذه المعاطب، وبعد مثل جسامة هذه التقويمات، كيف وَاضَعَ ذاته وقال: «أيها الإخوة أنا ما احتسب ذاتي أنني قد أخذت شيئًا». فقال هذه الألفاظ لينفي التشامخ عالمًا أيَّ رَجْزٍ يَحُلُّ بمن يعشقُهُ.

من يتشامخ يشبه من يعير الله بتقويماته كما فى الأمور البشرية، من أعطى قريبه عطية وتشامخ عليه، فقد سلب صلاته ونقض صداقة قريبه، ولهذا من هو هكذا **فهو مرذول**.

فلأجل هذا أراد الربُّ المهتم بحياتنا أن يجعلنا غرباء عن هذا الأ لم المُفسِد فعلَّمَ قائلًا: «إذا صنعتم كل البِرِّ فقولوا أننا عبيد بطالون».

فإن لم نصنع ذلك لا نكون كُفَاةً ولا نُسَمَّى عبيدًا بطالين لأن ربنا عظيم، ومواهبه عظيمة جسيمة وقوية.

ولنعلم أن الربَّ ما علمنا أن نتواضع قولًا فقط، بل أدَّبنا أن نتواضع برأينا بالفعل: «ائتزر بمئزر وَغَسَلَ أرجُلَ رسله».

فذلك قال: «تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لأنفسكم».

فإذا وافتك المحزنات بخلاف نيّتك، وصبرت عليها، كان ورودها كأنه في نيتك فتعرف حينئذ ذاتك، أنَّك قد بلغت إلى حدود إنسان ذي فضيلة ومتواضع، وتنذهل إذا عرفت كيف احتملت الفكر الخادع الذي أخطر لك **الرؤى الظالمة**، وكان يقول لك أنك عتيد أن تؤخذ بها.

بل الأولى بك كما نزعت رؤيتك من مثل هذا الأمر أن تقول لذاتك: أنت من أنت إلى أي حدود قد وصلت؛ هل أنت **إيليا**؟ أَتُرَاكَ صنعت عجائب مثل ذاك؟

«فإنه بصلاته أغلق السماء فلم تمطر ثلاث سنين وستة أشهر، ثم بصلاته أيضًا أعطت السماء مطرًا، وبصلاته أيضًا أحضرَ من السماء ثلاث مرات نارًا.»

وان كنت اقتنيت **الأمانة (الإيمان القويم)** كلّها فأعطينا خبره بذلك **(الدّالة لقوة الإيمان)؛ أرنا عجائب وآيات، أقم بصلاتك موتى، أفتح أعين العميان، أطرد جنًّا، نَقِ بُرصًا، أقم مشلولًا، أمشِ على البحر كمشيك على الأرض اليابسة، حول الماء خمرًا، أشبع بصلواتك من الخمس خبزات والسمكتين جموعًا كثيرة.**

لأنه صادقٌ هو القائل **(السيّد المسيح)**: «الحق أقول لكم إن من يؤمن بي يعمل الأعمال التى صنعتها أنا وأعظم منها يعمل».

لكن لعلَّ أحدًا يعير فيقول: فإن لم يعمل أحد تلك الأعمال والأمور اللائقة بالله لا رجاء خلاص له. بل لنا رجاء خلاص إن اعترفنا بضعفنا، وقلة إيماننا وإن لم تَعمَلْ هٰذه بنا لأن الضعيف إنما يلتمس رحمة لا تَعَظُّمًا.

فإن كُنَّا محتاجين إلى الرحمة وإياها نطلب فنحتاج إلى التواضع، لنجذب بالتواضع الرأفات من الله إلينا لأنه قد كُتب: «أنه بتواضعنا ذكرنا الرب وأنقذنا من أعدائنا». وأيضًا: «تواضعتُ فخلصني».

وإن كُنَّا نستند على الرياح، ونعظِّم رأينا فلسنا صانعين شيئًا آخر إلَّا أن نكردس ذاتنا، ونزجُّها في اللُّجَجِ فلا تقبلن **مرض الكبرياء** لئلا **يسرق العدو** رؤيتك بَغْتَةً.

إذًا فِقْ من **فكر الاعتداد بالذّات** لا تَلِفّ شبكته على رِجليك، إغسل بالتواضع ذهنك، ونظفه من هذا **السُّم القاتل** ليؤدبك منظر الذي يكنس بيته، كيف ينحني إلى الأرض وينظفه، فكم يحتاج بالأكثر أن تنحني باهتمام كبير، وتتَّضِع من أجل تنظيف النفس، ولا تترك فيها الأشياء التى يمقتها الله لأنه في النفس المتواضعة يسكن الآب والابن والروح القدس.

فإنه مكتوب أية شركة للبِرّ مع الإثم أو أية مساهمة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق **للمسيح مع المارق (المارق: خارج من الدِّين، مُرتَدّ، جاحِد)**، وأي حظ **للمؤمن مع الكافر**، وأي موافقة **لهيكل الله مع هيكل الأوثان**.

نحن هيكل الله كما قال الله: «أنني سأسكن فيهم وأمشي بينهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا لهذا، أخرجوا من بينهم وتميزوا منهم. قال الرب ولا تمسوا دنسًا وأنا أقبلكم وأكون لكم أبًا وتكونون أنتم لي بنينًا وبنات يقول الله الممسك (الضابط) الكل».

فإذ لنا مثل هذه المواعيد يا أحبائي فلنُطَهِّر أنفسنا من كل **دنس الجسد والروح** مكمّلين القداسة بخشية الله، فإذا اجتهدت إذًا أن تخرج من الأمور العالمية، وتنتقل من مصاعب العالم الشرير، جاهد جهادًا متكاثرًا حذرًا، حينئذ من أن تشارك **روح الكبرياء النجس** ليقبلك الرب لأنَّ نجسًا بالحقيقة عند الله **كل متعالي القلب**.

أما **تخطر ببالك النار التى مزمع أن تعبر فيها**. إذا عبرنا فى تلك النار، وكنا أنقياء بلا عيب حينئذ نعرف ذاتنا مَن نحن، لأن ذلك اليوم يُوضِح عمل كل أحد كما كُتب أنَّه بالنار يختبر.

فلنتضرع للرب بتواضع كثير لِيُنْقِذَنَا من الخوف المُنْتَظَر، ويؤهّلنا لذلك الاختطاف حين يختطف الصديقين فى السحب إلى الهواء لاستقبال ملك المجد وأن يورثنا مع الودعاء المتواضعين ملكوت السموات.

لأنه كما قال: «مغبوطون المساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات».

وكذلك «ويلٌ للمستكبرين والمستعلين برأيهم فإن لهم أتون النار».

لأنه **في الكبرياء** يسكن القائل **(الشيطان)**: «**اصنع بقوتي وبحكمة فمي أنتزع تخوم الأمم وأرتقي قوتَهم وأزلزل مُدنًا مسكونة وأتناول المسكونة كلها بيدي مثل عشٍّ وأحملها كبيض مهمل ولا يفلت أحد مني أو يقاوم قولي، لكن الربّ الإله رب الأجناد يُرسل إلى كرامتك هوانًا وإلى شرفك نار متوقدة تحرق (اللون الأحمر = اقوال الربّ)**».

وأيضًا أنت قلت (الشيطان) في ذهنك لأصعدن إلى السماء ولأضعن كرسيًّا فوق نجوم السماء، ولأجلس في الجبل الشامخ على الجبال الشاهقة نحو الشرق وأرتقي فوق الغيوم، أكون نظير العَلِيِّ. فالآن إلى الهاوية تنزل وإلى أساس الأرض. (اللون الأحمر = اقوال الربّ)».

فلنهرب منذ الآن **من الكبرياء** التي يبغضها الرب، ولنحب تواضع العقل الذي به أَرْضَى الربّ جميع الصديقين، لأن تواضع العقل قربان جسيمٌ قَدْرُهُ، وشرَفٍ عظيمٌ، ونجاحٌ نفيسٌ، وكرامةٌ جزيلةٌ للذين قد اقتنوه. لأن فيه سَعيًا لا يمسك وحكمة كاملة، لأنه باستعلاء الرأي ذُلَّ قدر ذلك الفرّيسي، وبتواضع العقل أرتفع شأن العشَّار الذى معه.

يؤهلنا الرب للحظ الذي لا يَبْلَى مع كافة الصديقين، فإن به يليق المجد إلى الأبد... آمين

« ٱليقظة هي عشق ٱلله »

للقديس بُرفيريوس ٱلرَّائي

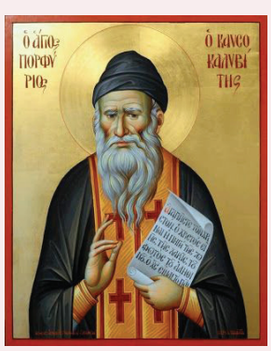

إتخذوا ذكر الله بشكل دائم، هكذا سيقتني ذهنكم مرونة، مرونة الذهن تأتي من اليقظة، واليقظة هي عشق الله. أي أن يكون المسيح دائمًا في ذهنك وفي قلبك حتى عندما تقوم بأعمال أخرى، إنه عشق المسيح، اللهفة. ستقتنون ذكر الله

بواسطة صلاة يسوع : «أيها الرَّبُّ يسوع المسيح إرحمني» ، وبواسطة صلوات الكنيسة والتسابيح، وبتذكر أفعال الله ومقاطع من الكتاب المقدس ومن كتب روحية أخرى. هذا يحتاج طبعًا الى رغبة صالحة ولا يَتِمُّ بغصب النفس، بل بواسطة النعمة الإلهية بشكل خاص. ولكن النعمة الإلهية تريد مؤهلات، أي المحبة والتواضع.

ذكرتُ في الجزء الأوّل من المقالة (**في العدد السّابق**) أنّ (آراء **الحَلّاج** الفلسفيّة ونظرته الى العلاقة ما بين الإنسان وخالقه، هُما وراء اتّهامه بالزندقة، نظرًا لسوء فهم معاصريه من الفقهاء، وما أكثر مَن اختلفوا على آراء **الحَلّاج** إلى يومنا) وقد ضربتُ مثالًا واحدًا من شعره على المعاني الباطنيّة التي قصدها أتباعه، التي لم يتمكنوا من فهمها، لأنّه توغّل بفكره وتأمّله الى أحد أعماق العقيدة المسيحيّة المرتبط **بالسيِّد المسيح بناسوته ولاهوته له المجد. والناسوت واللاهوت** مُصطلحان جديدان في شعر العرب، لا أثر لهما في شعرٍ وصلنا قبل شعر **الحَلّاج** (٨٥٨- ٩٢٢ م \ ٢٤٤- ٣٠٩ هـ) والغريب أنهما لم يُذكرا لا في «**لسان العرب**» **لابن منظور** الذي كان أديبًا باللغة العربية، ومؤرِّخًا وأحد العلماء بالفقه الإسلامي (ت ١٣١١ م \ ٧١١ هـ) ولا في «**القاموس المحيط**» **للفيروز آبادي** الذي كان من أئمّة اللغة (ت ١٤١٤ م \ ٨١٧ هـ) ما دَلَّ على أن شعر **الحَلّاج** قد أظهره المعجَبون به بعد موته بزمن طويل نسبيًّا، بعدما وجدوا فرصة سانحة لإخراجه الى العامّة، كما دَلَّ على أنّ شاعرًا آخر غير **الحَلّاج** لم يتناول أيًّا من المصطلَحَين في شعره قبل وفاة صاحبَي القاموسَين المذكورَين، أو أنّ كُلًّا من **ابن منظور والفيروز آبادي** لم يعثر على تفسير لأيّ من المصطلَحَين في الكتب الإسلاميّة. فإذا كان صعبًا على أتباع **الحَلّاج** وسائر المسلمين فهم بعض المعاني الظاهريّة التي في **إنجيل المسيح**، كما نرى اليوم، فكيف بالمعاني الباطنيّة؟ وقد وعدتُ القرّاء الكرام بكتابة نماذج من شعر **الحَلّاج** وشرح معانيها ما أمكن، لكني سألقي في البداية ضوءًا على الأبيات الثلاثة الواردة في الجزء الأوّل لأنها تصلح مدخلًا إلى فهم شخصيّة **الحَلّاج** – وهي عَروضيًّا على البحر السَّريع

سُبْحانَ مَن أَظهَرَ ناسوتُهُ سِرَّ سَنا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ

ثم بَدا في خَلْقِهِ ظاهِرًا في صُورَةِ الآكِلِ والشَّارِبِ

حتّى لقد عَايَنهُ خَلْقُهُ كَلَحْظَةِ الحَاجِبِ بالحَاجِبِ

فنقرأ في القواميس عن «سبحان» الخاصّة في الغالب بتسبيح الخالق ما يأتي: (سبَّحَ تسبيحًا: صلّى، قال «سُبحانَ الله» وسبَّحَ اللهَ ولله: نزَّهَهُ ومجَّدَهُ. ومعنى «سُبحانَ الله» أبْرِئُ اللهَ من السّوء. ويُقال «سُبحانَ مِن كذا» تعجُّبًا منهُ وهو على معنى الإضافة أي سُبحانَ الله من كذا. وسبحانَ في الإعراب منصوب على أنه مفعول مطلق... إلخ) انتهى.

وتسبيح الله مذكورٌ في الكتاب المقدّس؛ في العهد القديم، في المزمور الثالث والستّين– الآية الثالثة مز ٦٣:٣ «لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ» ، وفي العهد الجديد، في أعمال الرّسُل: «وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولُسُ وَسِيلاَ يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا» (أع ١٦:٢٥) ، وقد وردت الكلمة في شعر العرب إذ قال **ورقة بن نوفل** في «**الأغاني**» ٣:١٤:

سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ لا شَيْءَ يُعَادِلُهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدُ

– البحر البسيط.

وقال **أميّة بن أبي الصّلت** في «**تاج العروس**» ٢:١٥٧:

سُبْحانَهُ ثمّ سبحانًا يعودُ لهُ وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ

والجُمُدُ: بضم الجيم والميم وفتحهما: جبل معروف؛ نسب **ابن الأثير** عجز هذا البيت **لورقة بن نوفل**– **لسان العرب**.

وقال **الأعشى قيس** في «**لسان العرب**» ٣:٢١٠:

وسَبِّحْ على حين العَشِيّاتِ والضُّحى ولا تعبُدِ الشيطان واللهَ فاعبُدا

– البحر الطويل

أمّا سُبْحانَ بمعنى التعجّب من شيء أو من إنسان فلها أثر في شِعر

الأعشى قيس:

أَقولُ لمَّا جاءني فَخْرُه سبحانَ مِن عَلْقَمَةَ الفاخِرِ – البحر السّريع

أي: عَجَبًا من فخر **عَلقمَة** بنفسه. والمعنى في «**لسان العرب**» العجب منه إذ يَفْخَرُ ، فلو أراد **الحلّاج** أن يقصد نفسه في البيت الأوّل لقال في مكان ما «سُبْحاني» ما لم يرد في شعره الذي وصلني، لكنّي عثرت على «**سُبْحاني**» في كلام متصوّف آخر عاش قبل **الحلّاج** هو **أبو يزيد البسطامي** (خراسان ١٨٨ – ٢٦١ هـ) من حديث له، نصّه هو أنّ **أبا يزيد** (كان يومًا يرتدي جُبَّة ففتحها وقال: سُبْحاني ما أعظم شاني، ما في الجُبَّة إلّا الله – **شذرات الذهب** ١٤٢:٢ **وفيض القدير** ٤٥٦:١).

فبالعودة إلى **البيت الأوّل**:

سُبْحانَ مَن أظهَرَ ناسوتُهُ سِرَّ سَنا لاهوتِهِ الثّاقبِ

سُبْحانَ مَن (أي أُسبِّح الله الذي) أظْهَرَ (بيَّنَ) ناسُوتُهُ (تأنّسُهُ) وناسُوتُ فاعل مرفوع مُضاف إلى الضمير المتصل (الهاء) العائد على الله! سِرَّ: مفعول به مضاف إلى سَنا (ضوء النار والبرق) لكنّ المُراد به هنا هو السّناء (المجد وارتفاع المنزلة) و«سَنا» مضاف إلى لاهوتِهِ (ألوهيّته) ولاهُوت مضاف إليه وهو بدوره مضاف إلى الضمير المتصل (الهاء) العائد على اللهِ أيضًا. الثّاقب (المُضيء) صفة والموصوف هو لاهُوتُ الله المُتّحِدُ بناسُوتِه. والخلاصة هي أنّ الشاعر قد أُعجِبَ **بالناسوت** إذ أَظْهَرَ **سِرَّ اللاهوت**، أي أُعجِبَ **الحلّاج** بكشف الله عن ذاته وعن ماهيّته من خلال تأنُّسِهِ (قطعًا بشخص المسيح) إذْ كان مفهومُ الله سرًّا مخفيًّا طوال الدهور.

وتعليقي (**تعليق الكاتب**) ؛ أوّلًا: يبدو لي جَليًّا أنّ إعجاب **الحلّاج** بذلك الإظهار، الذي أدركه بعقله وطول تأمّله في الله، إعجابٌ من باب المَسَرّة وليس من باب الإنكار ولا الاستغراب. وبصفتي قارئًا مسيحيًّا فإنّ معنى البيت يرجع بي إلى الآية الإنجيليّة القائلة: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يوحنّا ١:١٨)

وثانيًا: واضحٌ أنّ **الحلّاج** بقوله «سُبحانَ مَن» كان يسبّح الله ولم يُسبّح نفسه، مثلما سَبَّح أحدُ الأعراب اللهَ إذ أعطى **مَعْنَ بْنَ زائدة مُلكًا**، قال **الأعرابي**:

فسُبْحَانَ الذي أعطاكَ مُلْكًا وعَلَّمَكَ الجلوسَ على السَّرِيرِ

– البحر الوافر

فأجاب **مَعْن**:سُبحانَهُ (أي سُبحانَ الله) على أيّة حال.

خصوصيّة الناسوت واللاهوت:

أمّا مسيحيًّا فإنّ **الناسوت واللاهوت** مُتّحِدان **بشخص المسيح** بدون اختلاط؛ مثل معدن ساخن حُمِّيَ بنار، وقد بقِيَ المعدن على طبيعته والنار على طبيعتها، بعد اتحاد النار بالمعدن، بدون تحوّل أحدهما إلى الآخر. والناسوت واللاهوت مصطلحان مسيحيّان صِرفان يُعبِّران عن مَيِّزتين خاصّتين **بالسيد المسيح وحده**، لا وجود لهما في كتب الفلسفة والميثولوجيا بأيّة لغة عالميّة، قبل زمن انتشار الكتاب المقدّس، وإن وُجدا بشكل معنويّ غير حرفيّ في عهديه القديم والجديد، في آيات عدّة، فهْمُها بسيط لمن أراد الفهم؛ إمّا بإرشاد الرّوح القدس، أو بالرجوع إلى التفسير المسيحي، باستثناء عدد من الآيات المذكور فيها اللاهوت حرفيًّا [١] في العهد الجديد (الإنجيل) وكلاهما متعلّق بشخص المسيح، سواء رمزيًّا أو حرفيًّا. لذا لا تجوز إطلاقًا استعارة أيّ من الناسوت واللاهوت لمصلحة شخص آخر بالقول مثلًا: **ناسوت آدم وناسوت الحلاج وناسوت فلان وناسوتي** بل **إنسانيّة آدم وإنسانيّة فلان... إلخ**. والفرق بين **الناسوت والإنسانيّة** هو أنّ **الناسوت: إنسانيّة بدون الخطيئة!** إذًا هو مصطلح خاصّ **بالمسيح لأنّ المسيح عاش بلا خطيئة** «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟» (يوحَنّا٨:٤٦) ، **والحلاج** أدرك أنه وسائر البشر قد أخطأوا، باستثناء المسيح صاحب **الطبيعتين**؛ الإنسانيّة التي بلا خطيئة (أي **الناسوت**) والإلهية الخارقة الطبيعة (أي **اللاهوت**) التي صنع بها المعجزات.

لماذا الناسوت واللاهوت خاصّان بالمسيح؟

لسببين؛ **الأوّل**: إنّ الله تجلّى في جسد شخص واحد فقط هو شخص المسيح، ما تجلّى في غيره ولا يمكن أن يظهر في غيره. ومن المُؤمَّل والمرتقب أن يظهر الله ثانية بشخص المسيح في المجيء الثاني للمسيح. والعهد الجديد قد أعلن حقيقة الظهور الأوّل في التالي: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ» (يُوحَنّا١:١٤) **وَالْكَلِمَةُ: كلمة الله – الأقنوم الثاني الحالّ في شخص المسيح.**

(إِذْ فِي الْمَسِيحِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا) (رسالة بولس الرسول إلى كولوسي ٢:٩)

والثاني: إنّ الله قُدُّوسٌ أي طاهر تمامًا فلا يمكن أن يحلّ في جَسَدٍ مَسَّتْهُ الخطيئة إطلاقًا، لذا وُلِد من عذراء (هي بهذا المفهوم مقدّسة أيضًا لم ترث خطيئة آدم إذ حُبِلَ بها بلا دنس وإلّا لتعارض كمالُ الله

مع قداسته، فيسوع المسيح هو الوحيد الطاهر الذي عَكَسَتْ قُدسيّتُهُ قداسة الله المطلقة. وقد أعلن العهد الجديد قدسيّته حتّى قبل ولادته من **السّيّدة العذراء**:«اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لوقا ١:٣٥) وهذه الآية، بالمناسبة، قد عبّرت بوضوح عن **الأقانيم الثلاثة** وهي العليّ (الآب) والقُدُّوسُ المَولُودُ (الابن) والرُّوحُ القُدُس.

ازدواجِيَّة الشّخصيّة عند الحَلّاج

أمّا **الحَلّاج** الذي عاش خلال الفترة (٨٥٨ – ٩٢٢ م) أي حتى الربع الأوّل من القرن الميلادي العاشر فلا شَكَّ في اطّلاعِهِ على **الإنجيل** المنتشر قبله بقرون، بجميع اللغات ولا سيّما العربيّة. فمهما طال تأمّله في عظمة الخالق ومهما قوِيَ اتّحاده بالله فكريًّا وروحيًّا فإنّ الاتحاد بين لاهوت الله وناسوته أقنوميّ بَحْت، هو أعمق من أيّ اتّحاد الإنسان بالله فكريًّا وروحيًّا. وهذا ما لم يُدركه **الحلّاجُ** حين قال «ناسوتي» و«لاهوتي» في التالي، على وزن البحر الطويل، أو أدركه لكنّه تجاوز حدوده وهذا احتمال مستبعَد في تقديري.

دَخَلْتُ بناسوتي لديكَ على الخَلْقِ ولولاكَ لاهوتي خَرَجْتُ من الصدقِ
فإنّ لسانَ العلمِ للنُّطقِ والهُدى وإنَّ لسانَ الغيبِ جَلَّ عن النُّطقِ
ظهرتَ لخَلْقٍ والتبَسْتَ لِفتيةٍ فتاهوا وضلّوا واحتجبتَ عن الخَلقِ
فتظهَرُ للألباب في الغرب تارَةً وطورًا عن الأبصار تغرُبُ في الشَّرقِ

أو أنّ فرط تأمّله في الله وتعمّقه في الوجود **وَلَّدَا** لديه حالة من الازدواجيّة في الشخصيّة، فصار تارة يرى صورة الله في شخصيّته وتارة يستفيق فيعود إلى رُشده ليرى الله كما يراه الخلق السّويّ. إليك في التالي بعض الأمثلة على ازدواجيّة نظرة **الحلّاج**.

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا نحنُ رُوحانِ حَلَلْنا بَدَنا
فإذا أبْصَرْتَني أبْصَرْتَهُ وإذا أبْصَرْتَهُ أبْصَرْتَنا – البحر الرّمَل

يعني: أنا والله واحد، نحن روحان حالّان في جسد واحد. فإذا أبصرتني أبصرت الله في شخصي وإذا أبصرتَ الله أبْصَرتني (أنا) لأنّ صورة الله تجلّت في شخصي.

يا سِرَّ سِرٍّ يدقّ حتّى يخفى على وَهْمِ كلّ حَيّ
وظاهرًا باطنًا تجلّى في كلّ شيءٍ لكُلِّ شَيّ
إنّ اعتذاري إليك جَهْلٌ وعُظْمُ شكٍّ وفرْطُ عَيّ
يا جملةَ الكلّ لستَ غيري فما اعتذاري إذًا إليّ

– البحر المضطرب .

والازدواجية واضحة في قوله: **يا جملةَ الكلّ لستَ غيري**

* *

مُزِجَتْ روحُكَ في روحي كما تُمزَجُ الخمرةُ بالماءِ الزّلال
فإذا مسّكَ شيءٌ مَسَّني فإذًا أنتَ أنا في كلّ حال– البحر الرّمَل

* *

قد تصبَّرتُ وهل يَصْبِرُ قلبي عن فؤادي
مازَجَتْ رُوحُكَ رُوحي في دُنُوٍّ وَبِعَادِ
فأنا أنتَ كما أنّكَ أنّي ومُرادي– مجزوء الرّمَل

الفؤادُ: القلب وقيل: وسَطُه. وقيل: غِشاءُ القلب والقلبُ حَبّتُهُ وسُوَيْداؤُه – **لسان العرب**. والازدواجية واضحة في قوله: فأنا أنتَ كما أنّك أنّي.

* *

لكنّه حين عاد إلى رشده قال «**ظننتُ أنّكَ أنّي**» في التالي:

عَجِبتُ مِنكَ ومِنّي يا مُنيَةَ المُتَمَنّي
أَدْنَيتَني مِنكَ حَتّى ظَنَنتُ أَنَّكَ أَني

* *

وغِبتُ في الوَجْدِ حَتّى أَفنَيتَني بكَ عَنّي
يا نِعْمَتي في حَياتي وراحَتي بَعْدَ دَفني
ما لي بغَيرِكَ أُنسٌ من حيثُ خَوفي وأَمني
يا مَن رِياضُ مَعانيهِ قد حَوَت كُلَّ فَنِّ
وإِنْ تَمَنَّيتُ شيئًا فأنتَ كُلُّ التَّمَنّي– البحر المجتث

* *

لاحظ/ي روعة القطعة التالية، على وزن الرّمَل، إمّا قصد الحلاج حبيبًا آخر غير الله بقوله «**لي حبيب**» الذي لي معه وقفة أخرى، لتكمن الازدواجيّة في البيت الثالث وتحديدًا قوله: وإنْ شئتُ يشأ.

يا نسيمَ الرّوح قولي للرَّشا لم يزِدْني الوِرْدُ إلّا عَطَشا
لي حبيبٌ حُبُّهُ وَسْطَ الحَشا إنْ يشأْ يمشي على خدّي مشى
رُوحُهُ رُوحي وروحي رُوحُهُ إنْ يشأْ شِئتُ وإنْ شئتُ يَشا

تغنّى بها الفنان اللبناني **مارسيل خليفة** والفنانة اللبنانية **هبة القواس** وغيرهما.

* *

مثالًا على رُشْد **الحَلّاج** واستفاقته من قصيدة، ناجى بها الله من جهة ووبّخ الناس من جهة

واللهِ ما طلَعَت شمسٌ ولا غَرُبَت
إلّا وحُبّكَ مقرونٌ بأنفاسي

ما لي وللنّاس كمْ يَلحونني سَفَهًا؟
دِيني لنفسي ودِينُ الناس للناس

– البحر البسيط

لَحَا الرَّجُلَ لَحْوًا: شَتَمَهُ (**لسان العرب**) والبيت الثاني يصلح شِعارًا لحريّة الديانة والمعتقد في عصرنا وسائر العصور التي عكست اضطهاد حقوق الإنسان في المعتقد وفي إبداء الرأي.

مثالًا آخر على رشده في مناجاة الله:

كانت لقلبيَ أهواءٌ مُفرَّقةٌ
فٱستُجمِعَتْ مُذ رأتكَ العينُ أهوائي
فصارَ يحسِدُنِي مَن كنتُ أحسِدُهُ
وصِرتُ مَولَى الورى مُذْ صِرتَ مَولائي
ما لامني فيك أحبابي وأعدائي
إلّا لغفلتِهِمْ عن عُظْمِ بلوائي
تركتُ للناس دُنياهُمْ ودِينَهُمُ
شُغلًا بحُبّك يا دِيني ودُنيائي
أشْعَلتَ في كبدي نارَين: واحدةٌ
بين الضلوع وأخرى بين أحشائي

– البحر البسيط

مولائي: مولاي. وفيما بعد؛ بلوائي: بلواي. دُنيائي: دنياي. كأن الأسماء مولى وبلوى ودنيا مهموزة الآخر «مَولاء، بَلواء، دُنياء» حَذَفَ الهمزة من كل منها وأضاف إلى ياء المتكلّم، ما اضطرّ إليه الشاعر لتمشية القافية، أي للضرورة الشعرية. كذا فعل **الشاعر النصراني أبو تمّام الطّائي** قبل الحلّاج، على وزن البحر الكامل،إذ قصَّرَ الفضاءَ ومَدَّ الهدى.

وَرِثَ الندى وحوى النهى وبنى العُلا
وجَلا الدّجى ورمى الفضا بهُداءِ

عودة إلى أبيات الحلّاج الثلاثة

فإذا اتفقنا على أنّ **الحلّاج** كان مُدركًا بُعْدًا ما من أبعاد **الناسوت واللاهوت** في البيت الأوّل، يسهل فهم البيتين التاليين وهما:

ثم بَدا في خَلْقِهِ ظاهِرًا   في صُورَةِ الآكِلِ والشّارِبِ
حتّى لقد عَايَنَهُ خَلْقُهُ   كَلَحْظَةِ الحَاجِبِ بالحَاجِبِ

ثم بَدا (الله) في خَلْقِهِ ظاهِرًا (بالمسيح) في صورة إنسان يأكل ويشرب، حتّى لقد عَايَنَهُ (**عايَنْتَ الشّيءَ عِيانًا: رأيتَهُ بعَينك. والمعاينة: المشاهدة– لسان العرب**) وأغلب الظنّ أنّ **الحلّاج** أراد بالمعاينة هنا الإدراك، إذًا عَايَنَ (اللهَ الظاهرَ بالمسيح) خَلْقُهُ، في وقت أدرك الخلق (**ممثَّلًا بالحلّاج** لأنّهُ عايَنَ بنفسه) أنّ **الناسوت واللاهوت** لم ينفصلا عن بعضهما لحظة واحدة، كَلَحْظَةِ الحاجب بالحاجب، أي حتى لحظة الرمش بين حاجِبَي العين. ذلك وإن كان للحاجب معان أخرى في «**لسان العرب**» لكنّها لا تمتّ إلى ما قصد الشاعر بأيّة صلة.

من شعر الحلّاج متأثِّرًا بالإنجيل

إليك نماذج أخرى من شعر **الحلّاج**؛ فيها إشارات دالّة على تأثّر عميق بالإنجيل **بل مُذهِل**. فإمّا وجدَ أحدٌ دلالات شعره التالي على ثقافة أخرى غير الإنجيليّة فليأتِنا بها مشكورًا.

أُقْتُلُوني يا ثُقاتي   إنّ في قتلي حياتي
فمماتي في حياتي   وحياتي في مماتي
إنّ عندي مَحْوَ ذاتي   من أجَلّ المكرمات

تشير هذه الأبيات – من مجزوء بحر الرَّمَل– إلى قول السيّد المسيح له المجد: «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.» (متّى ١٠: ٣٩)، وإلى قوله: «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ » (متّى ١٦: ٢٥-٢٦).

وبقائي في صفاتي   من قبيح السَّيِّئاتِ
سَئِمَتْ نفسي حياتي   في الرسوم الباليات

إشارة إلى رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس: «إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢ كور ٥: ١٧).

راجع/ي أيضًا رسالته إلى أفسُس وتحديدًا الأصحاح الرابع.

فاقتلوني وأْحرقوني   بعظامي الفانياتِ
ثم مُرّوا برفاتي   في القبور الدارساتِ
تجدوا سِرّ حبيبي   في طوايا الباقياتِ

واضحٌ أنّ **الحلّاج** قد تنبّأ بقتله وحرقه. أمّا قوله «**حبيبي**» تعبيرًا عن الله فليس بشائع في ذلك الزمان، كان في إمكانه أن يقول «**إلهي**» عوض «**حبيبي**» والوزن الشعري يبقى كما هو، لأنّ **حبيبي= إلاهي = فعُولُنْ**، علمًا أن الأب لويس شيخو (٢) قد توصّل إلى أصل **الشاعر أبي تمام (حبيب بن أوس الطّائي) نصرانيًّا** من طريق نشأته **على دين أبيه النصراني** ومن اسمه واسم أبيه قائلًا: (لنا في اسمه حبيب، وهو من الأسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين، ما يدلّ على نصرانيّته) عِلمًا أنّ ابن خلكان لم يُنكر نسبته إلى طيء وإنما نقل قول الصّولي: (قال قوم أنّ أبا تمّام هو حبيب بن تدّوس النصرانيّ فغُيِّر تدّوس فصار أوسًا) ثمّ روى عن أبيه أنّه (كان خمّارًا بدمشق) عِلمًا أنّ تدّوس (أي تدّاوس) اسم أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر.

إنني شيخٌ كبير   في علوّ الدرجاتِ
ثم أنّي صرتُ طفلًا   في حُجور المُرضِعاتِ

إشارة إلى قول المسيح: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ

الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متى ١٨:٣).

راجع/ي أيضًا (متى١٩:١٤)،(مرقس١٠:١٤) ،(لوقا ١٨:١٦)

ساكنًا في لَحْد قبر في أراضٍ سَبِخاتِ
وَلَـدَتْ أُمّي أباها إنَّ ذا من عَجَباتي

إشارة إلى **أعجوبة ولادة السيدة العذراء ابنها بالجسد** وهو **ربُّها** في الوقت عينه.

فبناتي، بَعْدَ أنْ كُنَّ بناتي، أخواتي
ليس مِن فِعْل زمانٍ لا ولا فِعْل الزناةِ... إلخ

إشارة إلى أنّ المؤمنين بخلاص يسوع من الجنسين هم جميعًا إخوة بالرّوح، سواء الأب والأمّ والابن والبنت وسائر الأقارب؛ أي أن الابن المؤمن بالمسيح يصبح بالروح أخًا لأبيه المؤمن ولأمّه المؤمنة، كذا البنت المؤمنة: «أَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ.» (الرسالة إلى رومه ٨:٢٩).

اختيار الحلّاج الموت على دين المسيح

أَلَا أَبـلِـغْ أَحِـبّائي بَـأَنّـــي رَكِبتُ البَحْرَ وانكَسَر السَفينَهْ
على دِينِ الصَّليبِ يَكونُ مَوتي فلا البَطحا أُريدُ ولا المَدينهْ

لعلّ هذا، الذي على وزن البحر الوافر، خيرُ ما أُنْهِي به هذه الرّحلة مع **الحَلّاج**، الشاعر الشهيد، الذي رَكِب البحر المجهول فتحطّمت سفينته إذ ارتطمت بعوائق وحواجز من غير المعقول. وقد عَلِمَ **أنّ الصّليب مفتاح الحياة الأبديّة**،إذ التقت خشبته العموديّة (التي ترمز إلى **اللاهوت**) مع خشبته الأفقيّة (التي ترمز إلى **الناسوت**) وهذا مفهوم متطوّر **لمعنى الصّليب**، الذي رسم به صاحب الوعي المطلق (الله) اتّحاد المحبّة العجيب بين **الرّوح والمادة (اللاهوت والناسوت)** بإتقان وبأبهى صورة وأقوى صوت هو: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً» (إشعياء٤٠:٣) (ومرقس ١:٣) ، فاختار **الحَلّاج الموت** الذي يؤدّي **إلى الحياة** في نهاية المطاف رافضًا **الحياة** التي تؤدّي **إلى الموت**. بل كان مِن حَقّه اختيار دين لنفسه غير دين مُعاصِريه. ومن حقّه أن يرفض الدين الذي دعا إليه صاحبُهُ في مكّة والمدينة الذي بدوره رفض المسيحيّة وليته اكتفى برفضها ولم يتعرّض لأهل الكتاب ولغيرهم بسوء في كتابه وأفعاله. لذا أصبح من حقّ كلّ إنسان أن يختار لنفسه أيّ دين، ما لم يضرّ به أحدًا!

أمّا قوله «**وانكَسَر السَفينَهْ**» عوض «**وانكسرت**» وإلّا لاختلّ الوزن الشّعري فهو على أساس أنّ مِن العرب مَن كان يُذكّر فِعْلَ المؤنّث إذا كان المؤنّث قليل العدد. أمّا (**السَّفينة: الفُلْكُ لأنها تَسفِن وجه الماء أي تقشره. البَطْحاء: مَسِيلٌ فيه دُقاقُ الحَصى. قال ابن الأثير؛ بَطْحاءُ الوادي وأَبْطَحُهُ: حَصاه اللّيِّن في بطن المَسِيل، أَبْطَحُ مكة: مَسِيلُ واديها. وقال الجوهري: البَطِيحَةُ والبَطْحاءُ مِثل الأبطَحِ ومنه بَطْحاءُ مكة) – لسان العرب.**

عِلمًا أنّ **الحلاج** وهو **على الصليب** كان يقول لأصدقائه وأتباعه: **(لا تخافوا)** بل **كان يُمازح جَلّاده**، الذي **قطَعَ يديه ورجليه قبل الصّلب**، حتّى **غضب في النهاية فقطع رأسه فسقطت**، ثمّ أُنزِل **وصُبّ عليه زيت وأُحرق** وأُلقِيَ رمادُهُ من أعلى مِئذنة في نهر دجلة. واللافت في الأمر **أنّ الوزير حامد بن العباس** حاول، أمام الجمع الغفير الذي احتشد لمشاهدة **صلب الحلاج**، أن **ينآى بنفسه وبالخليفة (المقتدر بالله) الذي وقّع على حكم الموت عن المسؤولية فدعا الشهود الموافقين على الحكم إلى تأييده بصوتٍ عالٍ فصاحوا قائلين: (نعَمْ، أقتلُهُ ودَمُهُ في رقابنا)** ما يعود بنا إلى **صياح الشَّعب في وجه بيلاطس «إصلِبْهُ»** و**«دمُهُ علَينا وعلى أولادِنا»** في البشارة بحسب متّى– الأصحاح ٢٧

الثناء على فكر الحلّاج

وذلك كلّه لم يمنع العقلاء من الإشادة بذِكر فكر **الحلّاج** والثناء عليه؛ نقرأ في ويكيبيديا: (التصوّف عند الحلاج جهاد في سبيل إحقاق الحقّ وليس مسلكًا فرديًّا بين المتصوّف والخالق فقط. لقد طوّر الحلاج النظرة العامة إلى التصوف، فجعله جهادًا ضد الظلم والطغيان في النفس والمجتمع ونظرًا لما لتلك الدعوة من تأثير على السلطة السياسية الحاكمة في حينه. فعن إبراهيم بن عمران النيلي أنه قال: «سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط، والخط كله نُقَطٌ مجتمعة. فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بَصَرُ أحد فهو نقطة بين نقطتين. وهذا دليل على تجلّي الحقّ من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين. ومن هذا قلت: ما رأيت شيئًا إلّا ورأيت الله فيه» ولا يخفى ما بهذه الجملة من فلسفات وحدة الوجود التي ترى توحّد الخالق بمخلوقاته) انتهى.

ولم يمنع الحكمُ الجائرُ ذوي الحسّ المرهَف من وصف **الحلّاج** بـ (قتيل الحُبّ الإلهي) ولم يمنع أبرز أدباء القرن الماضي من تصوير مأساة **الحلاج** في آدابهم أروع تصوير، ما يأتي ذكره في الجزء الثالث، حتّى كأنَّ مِنهُمْ مَن حَسَدَهُ على هذه الميتة! فلله دَرّ **الشاعر يزيد بن معاوية** إذ قال في قصيدة، من البحر البسيط، هي في نظري من أروع قصائد الغزل العربية:

هُـمْ يَحْسِـدُونِي عَلَى مَـوتِي فَوَا أَسَفِي
حَتَّى عَلَى المَوتِ لا أَخلُو مِنَ الحَسَدِ

١) ورد ذكر اللاهوت (أو الألوهة أو الألوهيّة) حرفيًّا على لسان بولس الرسول في أعمال الرسل ١٧:٢٩ وفي الرسالة إلى روما ١:٢٠ بالإضافة إلى المذكور أعلى ٢) في كتابه: «شعراء النصرانية بعد الإسلام، شعراء الدولة العباسية» ق ٣ ص ٢٥٧ وما بعدها من أخبار **الشاعر أبي تمام**.

عيد الميلاد والمرأة الوحيدة

القديس نيكولا فيليميروفيتش

«هَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.» (رؤيا ٣: ٢٠)

أَنتِ تَشْكِيَن من الوحدة في وسط مدينة كبيرة، فيما الناس من حولك يبدون مثل عُشِّ النمل، وأنتِ لا تزالين تشعرين وكأنك في الصحراء. الوضع في **الأعياد الكبرى** لا يُطاق. الفرح يفيض في كل مكان في حين **أنتِ مدفوعة نحو الحزن**. **أيام أعياد الميلاد والفصح** تبدو كالحاويات الفارغة التي تملئينها بالدموع. أنتِ أكثر هدوءًا عندما تكون هذه الأعياد المقدسة وراءك أو أمامك بكثير. ولكن عند اقترابها ووصولها **يقهر الغمّ والكآبة روحك**.

ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟ سأروي لكِ **قصة يوانّا وعيد الميلاد**، فقد تكون نافعة لكِ. سأترك لها أن تحكي ذلك، تمامًا كما روَتْها لي.

«لأربعين عامًا وقليل قد رأيتُ هذا العالم كامرأة. لم أعرف أيّ فرح، إلّا قليلًا عندما كنتُ طفلة في منزل والديّ. ولكن أمام العالم لم أُظهِر أني كنتُ حزينة. تظاهرتُ أمام الناس بالبهجة، وفي وحدتي كنتُ أبكي. إعْتَبَرَ الجميع أنّي مخلوقٌ سعيدٌ، لأنّي أظهرتُ ذلك. كُنتُ محاطة بالشكاوَى من حولي، من المتزوجين وغير المتزوجين، الأغنياء والفقراء، الجميع. ففكّرتُ: لماذا أشكو تعاستي لهؤلاء البؤساء وأزيد الحزن من حولي؟ يا ربّ، إذا أظهرتُ نفسي **سعيدة** فسوف أكون أكثر منفعة في هذا العالم التعيس، وسوف أخفي سرّي داخلي وأبكي في وحدتي.

صليتُ إلى الربّ لِيُظْهِر لي نفسَه بطريقة أو بأُخرى، على الأقل أحد أصابعه لكي أشعر بالراحة. صلّيتُ هكذا حتّى لا أندثر في حزني الخفيّ. كنتُ أعطي مِنْ دَخلي للجمعيات الخيرية حيثما أُتيحت لي الفرصة . كنتُ أزور المرضى واليتامى وأحمل إليهم الفرح من فرحي الظاهر. وكنت أردّد: «أنا أؤمن بك يا إلهي الصالح وأتوسّل إليك أن تظهر بطريقة ما حتى أزداد إيمانًا بك.»، «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي». (مرقس٩: ٢٤). كنتُ أُكرِّر هذه الكلمات من الإنجيل وبالفعل اختبرتُ ظهور السيّد لِي.

أصعب الأيام عندي كانت **الأعياد الكبيرة**. بعد القداس، كنتُ أحبس نفسي في غرفتي، وأبكي طوال **يوم الميلاد** أو **يوم الفصح**. لكن في **آخر عيد ميلاد ظهر لي الربّ**. الأمر جَرَى كما يلي: كان اليوم الكبير يقترب، فقرّرتُ أن أهيئ كلّ شيء كما كانت أمي تهيء لي، لحمًا ومعكرونة وحلويات وكل الأمور الأخرى. وأثناء التحضير كنتُ أصلي هكذا بدون انقطاع «لتكن رحمة الثالوث القدوس على زوايا الأرض الأربعة. يا ربّ أرسلْ إليَّ زوارًا خاصة من الجائعين والفقراء! أتوسّل إليك، اظهرْ لي بهذه الطريقة». وكنتُ أفكّر بين الحين والآخر «أيتها المجنونة يوانّا، أي زوّار تنتظرين في عيد الميلاد؟ في هذا اليوم المقدّس كلّ واحد يكون في بيته. كيف سوف يأتي أيّ كان ليزورك؟» وكنتُ أبكي وأبكي، وأعود وأكرّر هذه الصلاة فيما أتابع التحضير.

بعد القداس يوم الميلاد، أضأتُ الشمعة وهيأتُ المائدة. وضعتُ عليها كلّ الطعام وصرتُ أجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا. «يا إلهي، لا تتخلَّ عنّي!» كنت أكرّر الصلاة. كان المارّة قليلين فاليوم عيد الميلاد والطريق مهجور. وما أن كان الثلج يطقطق تحت رجلَي أحدهم، حتّى أركض إلى الباب! «ربّما هذا هو زائري؟ لا ليس هو». هكذا أمضيتُ وقتي. جاء بعد الظهر ومضى وكنتُ وحيدة. رحتُ أبكي وأصرخ: «ألآن أرى أيها السيد، أنتم تخليتم عني جميعًا». هكذا بكيتُ بصمتٍ وباستمرار.

فجأة قرع أحدهم الباب وسمعتُ أصواتًا «أعطِ أيها الأخ، أعطي أيتها الأخت». فركضت مسرعةً وفتحت الباب. أمامي وقف رجلٌ أعمى ودليله، كلاهما منحنٍ، رثّ الثياب ومتجمّد.

بادرتهم بفرح «المسيح وُلد أيها السيِّدان». «حقًا وُلِد» أجابا وأسنانهما ترتجف. «الرحمة أيتها الأخت، ارحمينا. نحن لا نطلب المال. منذ الصباح ولم يعطِنا أحد خبزًا أو مالًا أو كأس راكي (عرق). نحن جائعان جدًا». من فرحي رُفِعتُ إلى السماء الثالثة. تقدمتهما في منزلي وقدّمتُ لهما مائدة كاملة. خدمتهما بدموع الفرح. سألاني بخجل: «لماذا تبكين أيتها الآنسة؟» ، «من الفرح أيُّها السيِّدان، من الحبور والفرح المشرق! ما صلّيتُ من أجله إلى الله منحني إياه. لقد صلّيتُ إليه لعدة أيام أن يرسل إليّ زوارًا بالتحديد مثلكما، وها أنتما قد أرسلكما إليَّ. أنتما لم تأتيا إلى هنا بالصدفة بل إلهي الصالح أرسلكما. اليوم هو ظهر لي من خلالكما. هذا أسعد عيد ميلاد في حياتي. الآن أعرف أن إلهنا حيّ. المجد له والشكر.»، فأجاب زائِرَاي المحبوبَان «آمين». أبقيتهما إلى المساء ثم ملأتُ كيسيهما وودعتُهما.

هكذا كان **عيد الميلاد الأخير** ليوانا. أيها الرَّبُّ هبْ أن يكون العيد هذه السنة أكثر بهجة.

أنتِ أيضًا أيتها الابنة، صَلِّي حتّى يَظْهِر لكِ الآب السَّماوي نفسه بطريقة أو بأخرى، وللرَّبِّ طرقٌ كثيرة، حتّى تختبري معجزة. لا تُهيِّئي للحزن في هذا **اليوم الكبير**، بل **هيئي للفرح**. وهو الذي يرى الكل، ويرحم الكلّ سوف يجعلك سعيدة، له المجد آمين

القديس أنطونيوس الكبير والمسكونية المعاصرة

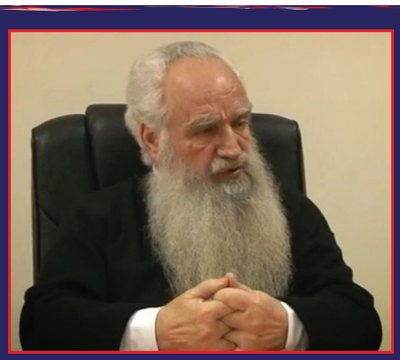

المتقدّم في الكهنة ثيوذوروس زيسيس

ملحوظة: يُعتبر كاتب المقال من الكهنة المستنيرين في الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة في اليونان.

١) ما لم يعفُ عنه الزمن: بيئة مماثلة بين الأديان وبين المسيحية:

إن تذكار **القديس أنطونيوس الكبير** في الكنيسة ... يعطينا بنعمة الله وبركة القديس الفرصة لنفرح مرة أخرى بسيرته الرائعة التي كتبها تلميذه **رئيس أساقفة الإسكندرية، عمود الأرثوذكسية، القديس أثناسيوس الكبير**. إنها نموذج في أدب سِيَرِ القديسين لجميع الذين كتبوا لاحقًا.

يعالج الجزء الأكبر من السيرة إنجازات **القديس أنطونيوس**، كفاحه ضد **الشياطين** وتعليمه عنهم، وكذلك إنجازه العظيم في أن يكون مؤسس التجمعات في الصحراء، ملؤه الصحراء بالأديرة، وبالتالي كونه مُؤَسِّس حياة الزُّهْدِ وقائدها. «أقنع الكثيرين باختيار حياة التوحّد، وبهذا أدّى إلى أن تصير الأديار على الجبال وفي الصحراء مأهولة برهبان خرجوا من تلقاء أنفسهم، وتجنّدوا في المدينة السماوية».

لقد قطع غيابه الطويل عن العالم مرتين من أجل النضال والإسهام في إنقاذ الأرثوذكسيّة، التي في ذلك الحين كما الآن، كانت في خطر من أعداء الخارج **وأكثر منه من الأعداء في الداخل**. لم تكن المسيحية أبدًا «على قدم المساواة» في المحادثات والمفاوضات مع الأديان الأخرى، كما يجدّف المدعوون قادةً مسيحيين في اجتماعات **ضد** المسيح للحوارات الدينية. **المسيحية كانت ولم تزل الحقيقة الوحيدة والطريقة الوحيدة للخلاص، والضوء الحقيقي** الذي حلّ محل لا الأضواء الأضعف منه بل **محلّ ظلام المغالطة وجهل الله**. «الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (متى ٤:١٦). **المسيح** لم يقل «**أنا إحدى الطرقات، وإحدى الحقائق، وأحد الأضواء من بين طرق أخرى، وحقائق أخرى، وأضواء أخرى، بل أنا الطريق الوحيدة، والحقيقة الوحيدة، والضوء الوحيد**».« أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤:٦)، «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا ٨:١٢).

إن حصرية الكتاب المقدس التي يصفها البعض اليوم بأنها هامشية وأصولية، فيما يهينون ويقطعون كلّ مَن يعلن بثبات وإخلاص **أنها الإنجيل والحياة** التي دفع ثمنها الرسل القديسون والشهداء غاليًا، مفضّلين أن يتعرضوا للتعذيب وسفك الدماء بدلًا من المساومة مع ما يُسمّى «**الحقائق**» بهدف **التعايش في النموذج المتعدد الثقافات، والسائد في العلاقات والاجتماعات بين الأديان، مفترضين أن هذا محبة للآخرين**.

٢) مُعلِّمُو التقاعس والنِّفاق. كُليِّو المعرفة والمتواضعون:

قبل **قسطنطين الكبير**، أثناء **اضطهاد ماكسيميانوس** لمسيحيي الإسكندرية في عام ٣١١، كان **القديس أنطونيوس الكبير** في الحادية والستين من العمر، ترك الصحراء والزهد والصلاة لفترة من الوقت وجاء إلى الإسكندرية، شجاعًا وغير خائف مشتاقًا لأن يشهد، وأن يشجع أولئك الذين يُقادون إلى الاستشهاد. لقد تجاهل بشكل قاطع **أوامر القاضي** للرهبان بالخروج من المدينة وعدم الحضور في المحاكم. ظهر أمام الحاكم الذي كان في مقعده البارز في المحكمة، مُبرهنًا استعداد المسيحيين للقتال والشهادة على إيمانهم. «**وقف غير خائف، مُبينًا لنا الغيرة المسيحية، لأنه هو أيضًا رغب في الاستشهاد كما قلنا سابقًا**». بالطبع حَفظه الله ولم يُقتَل، لأنه أكثر فائدة على قيد الحياة، لكنه لم يحبس نفسه في قلايته في الصحراء بل «كان عادة يخدم المعترفين كواحد معهم في العمل في خدمتهم». عندما يكون الإيمان الأرثوذكسي **في خطر**، فإن الأولويَّة الروحيَّة الأولى هي **للدفاع عنه**، والنضال ودعم الذين يجاهدون، والقبول بتقديم الدم وحتى الموت؛ كلّ الواجبات الروحيَّة الأخرى تصير ثانوية. كل الآخرين الذين يعملون أو يقدمون المشورة على عكس ذلك، هم ببساطة يغطّون أعذارهم لِتَخَلُّفِهِمْ وَجُبْنِهِمْ فيصبحوا **معلمين وأساتذة للتقاعس والنِّفاق**.

بالطبع لن نقدم هنا كيف واجه **أنطونيوس العظيم** رجال الأدب

العظماء المتعلمين وفلاسفة الوثنية، بمرافعة لا تُرَدّ، وهو نفسه أُمِّيٌّ، تاركًا إياهم لا كلام لهم مذهولين. قد نفعل ذلك مرة أخرى، لأن الوثنية وعبادة الآلهة تعود إلى الظهور مرة أخرى، **بدعم من أنصار أقوياء**. لم يكن **القديس** يعرف كل شيء كما هم كانوا، لم تكن لديه المعرفة الدنيويَّة، لكنه كان يعرف الكتاب المقدس وتعاليم القديسين وقبل كل شيء كان **الله** مُعَلِّمَهُ ومصدَرَ وَحْيِهِ.

الإيمان ليس قضية معرفة كبيرة وعلم، بل هو خضوع متواضع لا للمعرفة السائدة بل **لحقيقة الكنيسة الخالدة والأبدية**. إذا لم يجرّد المرء نفسه من الحكمة الذاتيَّة، والتباهي بها، يندمج بتواضع في **روح المسيح، روح الكنيسة، روح القديسين وآباء الكنيسة** التي تفتح الآفاق الروحية، فسوف يبقى المرء في التساؤل والتخمين حول يقين الإيمان ومعرفة الذَّات، حتى أنّ أكثر المؤمنين بساطة، سوف يتهمه بأنه كليّ المعرفة وأناني، ويفتقر إلى التواضع. ومع ذلك، التواضع لا يعني أن على المرء أن يقبل الرأي السائد بل أن يقبل **معرفة الله والقديسين**، لأنه غالبًا ما ينحاز الكثيرون إلى الكَذَبَة، ويمكّنون الكذب بكونهم غالبية. إذا كان قبول رأي الأغلبية هو معيار القبول حتّى عندما لا يتفق مع الحقيقة، **لما** كان الكتاب المقدس مقبولًا بدعم الرسل القليلي العدد ، **ولما استمرّت الكنيسة** في **هذا الفيض من غير المخلِصين والهراطقة**.

٣) موقف القديس أنطونيوس ضد الهراطقة. نموذجٌ أَوَّلِيٌّ ليتشبّه به الجميع اليوم:

ما نَودّ أن نفعله الآن هو عرض الطريقة التي واجه بها **القديس أنطونيوس البدعة الآريوسية**، التي هدَّدت الكنيسة داخليًا، بدعم من **الإمبراطور والقادة والبطاركة والأساقفة**، كما يحدث في هذا اليوم مع **عموم الهرطقات من البابوية والمسكونية**، والتي هي أكثر خطورة بكثير، لأنها تقوّض تقريبًا كل عقائد الإيمان وتحوّل التعليم الإلهي الذي في الكتاب المقدس إلى تعليم إنساني عادي. فَهُمْ يسحبون **المسيح الإله–الإنسان والقديسين والآباء** ويستبدلونهم **ببابا روما المعصوم، وانتشار البِدَعِ في المجلس العالمي لما يسمى الكنائس**. هذا العرض مفيد جدًا حتى بالنسبة لأولئك الذين يدّعون عدم رؤية الخطر، وللآباء الروحيين «الجديين» المُضَلَّلين أو الموضوعين في مواقف صعبة جدًا، ولأبنائهم الروحيين الذين يرون بشكل أفضل من خلال عيون القديسين، وينتهي الأمر بهم إلى التشكيك في جدارة توجيههم الروحي. بالطبع، القديسون هم أكثر جدارة بالثقة من أي شيخ أو دليل روحي، لا تغضبه الهرطقة ولا يقاتل لفضحها أو التخلّص منها.

وهكذا، غادر **أنطونيوس الكبير** الصحراء للمرة الثانية ونزل إلى الإسكندرية. كان **أثناسيوس الكبير الأسقف الأرثوذكسي والبطريرك**، وهو كان تحت الاضطهاد المستمر، فيما سلسلة من المنفيين والشعب الأرثوذكسي كانوا واقعين تحت **الهرطقة الأريوسية**، كما هو الوضع في الوقت الحاضر، حيث الشعب تحت وصاية **البطاركة والأساقفة المسكونيين أو المؤيدين للمسكونية**. نتعلّم من سيرة **انطونيوس الكبير** أنّه «**كان أكثر من رائع وموقَّر**». كان لديه تعاملات مع **الملتيوسيين المنشقين** لأنه منذ البداية كان على بَيِّنَةٍ من مكرهم وارتدادهم. ولكن علاقته مع **المانيخيين وغيرهم من الهراطقة** لم تكن ودِّية أبدًا، بل انحصرت بتقديم المشورة وإستعادتهم ليرجعوا **مؤمنين أرثوذكسيين**. لقد آمن وعلّم أنّ مصادقتهم والحفاظ على الشركة معهم ضارة، ويمكن أن تنتهي بخسارة الأرواح. لقد أبغض **البِدْعَةَ الأريوسية وحذّر الجميع من الاقتراب من الأريوسيين أو قبول تعليمهم الزائف**. زاره مرةً **بعض الأريوسيين المتعصبين**، فبعد أن تحدّث معهم وَفَهِمَ أنَّهم غير مؤمنين، أرسلهم بعيدًا عن الجبل حيث كان ينسك، وقال لهم **أنّ كلماتهم أسوأ من سُمِّ الثعابين**. نستطيع أن نقول أن هذا التعليم يحدِّد القاعدة التي تظهِر لنا بوضوح وصدق وبدون خداع، كيفية محاورة الهراطقة وتنظيم تفاعلاتنا الإنسانية والاجتماعية معهم. وفي الوقت نفسه يُظهر لنا أنَّ كُلَّ الحدود التي وضعها **الآباء القدامى يهدمها المسكونيون** الذين **يحتضنون الهراطقة ويقبلونهم**، كما لو كانوا أتقياء ويشاركونهم الإيمان نفسه، ولا يفكّرون أبدًا باستبعادهم ولا حتّى حثّهم على العودة **إلى الأرثوذكسية**. تجري الحوارات «**على قدم المساواة**»، مساوين الأكاذيب والبِدَعَ والخداع بالحقيقة. عند التحاور «**على قدم المساواة**»، يعني أنك تمنح الأكاذيب إمكانية السيادة على الحقيقة، وأنك تشكّ بالحقيقة وتسعى للعثور عليها. لكن حوار القديسين والآباء، هو حوار المسيح مع المرأة السامرية، حوار الرسل مع اليهود والأمم، حوار الآباء مع الهراطقة، إنه دعوة وحثّ على العودة إلى الحقيقة، إلى الانضمام مجدَّدًا إلى الكنيسة الواحدة، المقدسة، الجامعة والرسولية؛ **هذا هو الاتحاد والسلام الحقيقِيَّان**. أما الباقي فهو اتحادات كاذبة، وسلام كاذب، وحوارات مُزَيَّفَةٌ.

٤) رؤية القديس أنطونيوس المروّعة عن الهراطقة: وحوش بكماء حول المذبح المقدس:

إن الرؤية التي رآها **القديس أنطونيوس** عن **وجود الهراطقة** داخل **الكنائس الأرثوذكسية** لمروّعة حقًا. هذه الرؤية تصوّر وتوضح بيانيًّا الأسباب التي أدّت بالآباء القديسين إلى وضع قوانين مجمعية تمنع

دخول الهراطقة إلى الأماكن المكرّسة، ومشاركتهم في الخدم والقداديس، كذلك الصلوات المشتركة والعبادة المشتركة.

لا يقبل الهراطقة تعاليم الكنيسة والرسل والقديسين، وهم **متأثرون بالشياطين وأبيهم الشيطان**، في الترويج لوجهات نظر مُضَلِّلَة. لهذا السبب تعليمهم «**عديم الفائدة وَعَبَثِيٌّ وفكرهم ليس صحيحًا، كالبغال البكماء**».

لقد ارتعدَ وخافَ **القديس أنطونيوس** عندما سَمَحَ الله له بأن يبصر في رؤيته **الآريوسيين** محيطين **بالمذبح المقدس كبغال تَرَكُل المذبح وَتُدَنِّسُهُ**. لقد بلغ به الحزن أنه راح يبكي مُكتئبًا وَمُتَدَمِّرًا شأن الكثير من المؤمنين عند رؤيتهم **البابا الهرطوقي** يدخل ويدنّس **كنيسة القديس جاورجيوس** في الفنار (في اسطنبول) فيما **الفاتيكان** أسقط **هذا القديس نفسه**. نحن على يقين أنه لو كان البطاركة ورؤساء الأساقفة والأساقفة قد قرأوا وتعلّموا من رؤية **القديس أنطونيوس**، وبطبيعة الحال لو أنهم كأرثوذكس لا يزالون يُكرّمون ويتبعون حياة القديسين وتعليمهم، **فإنهم سيوقفون الضيافات والزيارات الليتورجية المتبادلة، الصلوات المشتركة الأسبوعية، وتبادل الممثلين في الاحتفالات السنوية**. وإلّا **فإنهم سيظهَرون بين المتآمرين** بحسب رؤية **القديس أنطونيوس المخيفة**.

بحسب سَرْدِ **أثناسيوس العظيم** في السيرة، ففي حين كان **أنطونيوس الكبير** جالسًا، مشغولًا بعمله اليدوي، دخل في غشية (**غشية: فِقدان كامِل للوعي، غيبوبة، سُبات**)، فكان يتنفس بصعوبة أثناء رؤيته. بعد ذلك بقليل تحول إلى الرهبان الحاضرين، فيما لا يزال يتنفس بصعوبة ويرتجف. سقط على ركبتيه للصلاة واستمر راكعًا لفترة طويلة. وعندما نهض الشيخ كان يبكي. ارتعب الحاضرون وأصابتهم الصدمة. فطلبوا منه أن يشرح لهم. وإذ أصرّوا وألزموه، تنهّد مرة أخرى وقال: «أبنائي من الأفضل لي أن أموت قبل أن أرى حدوث الأمور التي عاينتها في رؤيتي. غضب الله سوف يقع على الكنيسة وسوف تُسلّم إلى أناس هم وحوش عديمو الفكر. رأيت هيكل الكنيسة المقدس، عند الإسقيط الرئيسي مُحاطًا بالبغال من كل النواحي، وكانت تركل وتقفز صعودًا وهبوطًا كما هو طبيعي لهذه الحيوانات البكماء. لقد رأيتموني ولاحظتم أني كنت أتنهّد قبلًا؛ ذلك لأنني سمعت صوتًا يقول: «سوف يتدنّس مذبحي»، هذا ما رآه الشيخ. وبعد عامين بالضبط **هاجم أريوس** الكنائس وسرقها، واخذ الأوعية المقدسة بالقوة وسلّمها إلى المشركين. لقد أجبروا الكهنة على حضور الاجتماعات معهم ونفّذوا كل رغباتهم على المذبح المقدس. ثم فهمنا جميعًا، يقول **أثناسيوس الكبير**، أن كل البغال الذي أنبأ **القديس أنطونيوس** به هو ما يفعله **الأريوسيون الآن كحيوانات**. بعد الرؤية، أحسّ الشيخ بالحاجة إلى تشجيع الذين حوله وتعزيتهم بالقول:

«لا تحزنوا يا أبنائي. إذ كما غضب ربنا، فهو سوف يشفي كل الشرّ. سريعًا سوف تستعيد الكنيسة جمالها وسوف تتألّق. سوف تشهدون عودة المنفيين، المؤمنون الأتقياء سوف يظهرون مُجدَّدًا ويحكمون في كل مكان. يكفي أَلّا تَدَعُوا أنفسكم تتنجّسون ببدعة أريوس، كونها ليست من تعليم الرسل بل من الشياطين وأبيهم الشيطان، غير عقلانية ولا مثيل له مثل البغال البُكْمِ».

الخاتمة:

إن **غضب الله على الكنيسة** حَلَّ منذ عقودٍ عديدةٍ. **البابوية والمسكونية تنتصران**. في ذلك الزمان فهم **أثناسيوس الكبير والآباء القديسون الآخرون** الخطر الموصوف في **رؤيا القديس أنطونيوس الكبير**. نحن نشهد الآن تلوُّث الكنائس والهياكل المقدّسة بالصلوات والطقوس المشتركة مع **الهراطقة «غير العقلانيين»**، ونحن نساعد التلوث وَنُثْنِي عليه، بالانضمام إليه في **ركل المذبح**. وإذا لاحظ أحد الصلوات المسكونية المشتركة، كتلك التي جرت في **كانبيرا** خلال **المجلس العام السابع لما يسمى بمجلس الكنائس**، مع المشاركة المعتادة **للكهنة المثليين** الذين لا يحرؤون على حمل الكأس المقدسة، كما **الأساقفة النساء والكاهنات**، فإن المنظر يتجاوز حتى **رؤيا القديس أنطونيوس الكبير**: «إن الأمل الوحيد لكنيستنا لاستعادة جمالها واردٌ في وصية **القديس أنطونيوس الكبير** ونصيحته: «**حَذَارِ أن تُلَوِّثُوا أنفسكم مع الآريوسيين**». يجب أن نحرص على ألّا نُلَوِّث أنفسنا بالشركة مع **البابوية والمسكونية والأرثوذكس المؤيدين للبابوية والمسكونية**. لأنّنا حتى الآن لم نَقُمْ بذلك بشكل حَيَوِيّ وحاسم، فيما **الله** لسنوات يطيل غضبه ومعه **أَسر الأرثوذكس بالهرطقة المسكونية**. إلى كم من الوقت سوف يسمح الأساقفة والرهبان والشعب للحيوانات الوحشية الهراطقة، بأن يركلوا ويلوثوا مذبح الأرثوذكسية ومقدّساتها؟ طالما نحن نبقى غير ناشطين ونستنبط أعذارًا روحية زائفة مختلفة، **فإن رجسة الخراب** ستقف على الأرض المقدسة.

ومن الجدير بالذكر

أنَّ **المتروبوليت سيرافيم مطران بيريه للروم الأرثوذكس في اليونان** كتب في صفحته اليومية في الفيس بوك العام المنصرم: **أنَّ أقباط مصر أُمّة منحرفة كونهم يؤمنون بالطبيعة الواحدة، والبابا تاوضروس بطريرك غير قانوني.**

ويعتبر المتروبوليت سيرافيم من الأكثر جرأة ومهابة في مطارنة اليونان يقول ما يؤمن به دون خوفٍ او وَجَل، حصَلَ على شهادة المحاماة بالإضافة إلى شهادة اللاهوت.

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

عن شهوة الكهنوت والرئاسة الدينية

✝ – ينبغي للراهب ألَّا يشتهي أن يصير كاهنًا، أو يرغب أن يكون رئيسًا على أحد.

✝ – ولا يليق ذلك بالناسك، لأن محبة الرئاسة (الدينية) مرض شيطاني. فإن الشيطان قد سقط بسبب هذا المرض الرديء (الكبرياء).

✝ – والذين يميلون إلى الرئاسة يتبعهم التعب، لأنهم يصيرون حسودين، مُحَارَبِين وَمُحَارِبين، نمّامين، غير مُؤَدّبين، كالشياطين التي تخدع وتفعل الشرور في سبيل تحقيق هذا الهدف.

✝ – فلنهرب من هذه الشهوة (السعي نحو المناصب).

✝ – وإذا اراد الربّ أن يُقيم رئيسًا، فهو وحده الحكيم العارف بمن يُقيمه.

✝ – فلا تدَع هذا المرض يقترب منك، لأنه نوع رديء وقتّال للنفس، ومُبعِد عن الخير.

عن التقدم في حياة الطاعة الكاملة

✝ – إذا كان الذي دَفَعَ ذاته لكي يتعلَّم صنعةً (حِرْفَةً) حقيرة (عالمية)، تنفعه زمانًا قليلًا في هذا العالم، يُصغي بانتباهٍ من مُعلّمه لكل شيء، ولا يجادله، ولا يُفارقه، فكيف لا ينبغي للذين يتقدمون لتعلّم طُرق العبادة أن يُظهِروا كلّ طاعة لرئيسهم، ليتعلّموا منه، بسماعهم منه، وطاعتهم له من غير مُجادلة، ومن غير أن يعرفوا سبب أمره لهم !!! (ابن الطاعة تحلّ عليه البَرَكَة).

عن ضرورة الارتباط بالمجمع

✝ – يحظر على الذين دخلوا في الشركة والأخوة الروحانية ، عدَم فرض رأيهم بطرد، أو إخراج الأخوة من المجمع لاسباب هم يرتأونها (لا يُصَرَّح لهم بذلك).

✝ – ولا يجوز التوَحُّد الخاطىء، أو الزعم بأن أعضاء المجمع أردياء. فلم يفترق الرُّسُل عن بعضهم في مجمعهم، لأجل **خُبث يهوذا الإسخريوطي**، وأن افتراقه كان من قلّة ثباته في النعمة وخيانته الجسيمة.

✝ – ولماذا لم يُتَشَبَّه بالطوباوي «نوح» الذي لم يهرب من كل جيله الشرير، فقد سلك في طريق العبادة بثبات عزمٍ، وهو ساكنٌ وسط الخطيئة، إلى أن افناهم الطوفان.

القديس باسيليوس الكبير

✝ – واذا اجتمع اثنان أو ثلاثة، بإسم المسيح، يكون في وسَطِهم، حسب وَعدِه الصَّادق.

✝ – وسيرتنا هي أننا لا نفترق عن المجمع (الدير) الذي لبسنا فيه الإسكيم (زِيّ الرهبنة). وألَّا يقتني أحدٌ منا شيئًا (ماديًّا) لذاته وحده، وألَّا يصنع شيئًا (ضد الجماعة) في الخفاء، ولا يعمل عملًا منه وحده.

✝ – وينبغي أن نُنَقِّي داخلنا **من جميع أدناس الأفكار، كالمكر والحسد والمقاومة.** فإنَّ هذه الشرور تُبعِد المحبة (من القلب) وتُبعِد الله عنا.

✝ – وإذا سمح الله أن تُصيبنا أتعاب وتجارب، لكي نتوب وَنُقَوِّم سيرتنا؛ فلا نضجر أو نتذمّر، أو نفكّر رديًّا؛ بل أن نشكر الله – الطبيب الصالح – الذي يستخدم أدوية بها نتطهَّر من الكسل والخُبث، وإن امتحانات الله نافعة كما حدث لإبراهيم وأيوب.

✝ – ولا يتوقف النُسك عن مجرّد الابتعاد عن الأطعمة فقط، وإنما بالابتعاد عن النظر الرديء، وعن سماع الكلام الباطل، وكلام الجهل، والأفكار الشريرة،

❀ وسُئِل القديس: «هل النُسك الحقيقي لازم للعبادة» ؟!

✝ – فأجاب: هو لازم، كما مَارَسَهُ الرسول بولس، وَجَاهَدَ بتعبٍ وألمٍ وسَهَرٍ وجوعٍ وعَطَشٍ.

✝ – وأن الاهتمام بالطعام يُحَرِّك شهوة الجسد، وجميع القديسين عاشوا بالنُسك ولم ينساقوا وراء لذّة الطعام، بل حسب الحاجة فقط (اع ٤: ٣٥).

✝ – وقد قال الربّ: «ويلٌ لكم أيّها الشَباعَى» لأن الامتلاء بالأطعمة يُثقِل الجسد (ويدفعه للكسل والنوم) وينطبق عليهم القول: «آلهتهم هي بطونهم».

✝ – فَلْيُعْطَ الجسد ما يحتاجه، لئلا يخور في الطريق. وأن نختار من الطعام أسهله وجودًا، ولا نطلب أصنافًا غير موجودة، ونستعمل ما يستخدمه الكُل، والذي ثمنه قليل، وهذا نقبله بشكر.

✝ – وأما الأشياء الصعبة الوجود، والتي يُؤتَى بها من أماكن بعيدة – كالزيت وما يشبهه – وما يصلُح للمرضَى، فيؤخذ منه القدر الضروري لحاجة الجسد، خاصة وإن كان الحصول عليه سَهلًا، وغير مُقلق للغير.

المغبوط ثيوذور

المتباله للمسيح الجُورْجِيّ

متباله: هبَل، عُته، جنون، حماقة، غفلة، تصرّف ببَله.

في إحدى **قرى أيبيريا (جورجيا الحالية)** عاش رجل بسيط **اسمه ثيوذور**، وكان الجميع يعتبرونه أبلَهَ، لا بل مجنونًا. لم يَزُرْ الكنيسة يومًا مع أنه لم يُظهِر أي نقص آخر.

في إحدى المرات، على عيد رفع الصليب المكرّم، حين تجتمع حشود من الشعب لإكرام الخشبة المكرّمة، فكّر **ثيوذور** في نفسه: «اليوم سوف أذهب إلى الكنيسة لأرى ولو لمرة في حياتي ما يفعلون هناك».

فذهب، وسجد للصليب مع المؤمنين الآخرين، شارك في القداس الإلهي، وتأثّر بشكل خاص بكلمات الإنجيل: « مَن أراد أن يتبعني، فلينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعني».

بعد انتهاء القداس الإلهي، زار أحد أصحابه وسأله عن معنى هذه الكلمات. أجابه ذاك ممازحًا: «**هذا يعني أن عليك أن تذهب إلى الغابة، تقطع شجرة، تصنع منها صليبًا، تحمله، وتسير نحو ملكوت الله**».

بالفعل ذهب **ثيوذور** إلى الغابة وصنع صليبًا ضخمًا، فكان ثقيلًا حتّى أنه بصعوبة استطاع أن يحمله. وهكذا بدأ بالسير، وكان يسأل كلّ مَن يلتقيه: «أهذا هو الطريق المؤدّي إلى ملكوت الله؟».

هذا السؤال جعل الجميع يقتنعون بأنهم يتعاملون مع شخص مجنون، فكانوا يجيبون: «**أسرعْ، هذا الطريق يذهب مباشرة إلى ملكوت الله**». وهكذا كان **ثيوذور** يُسرِع أكثر... هَامَ لأيام كثيرة مُهْمِلًا الأكل والشرب. أخيرًا وصل إلى الحدود بين **إيبيريا وتركيا**. عند تلك النقطة، لمح ديرًا على مسافة وقال لنفسه فَرِحًا: «الحمد لله! لا بدّ أن هذا ملكوت الله».

عندما وصل إلى الدير وسأل سؤاله المعتاد، تَحَقَّقُوا من بساطته وأجابوه: «ملكوت الله ليس هنا بعد، لكنه قريبٌ، قريبٌ جِدًا. خذ قسطًا من الراحة لفترة قصيرة ولربّما يأتي بعض المسافرين ليرافقوك؛ لأن المسافة الأخيرة من طريق الملكوت خطرة جدًا».

وافق **ثيوذور** ذو العقل البسيط وَقَبِلَ عرضَهم وبات في رواق كنيسة الدير حيث وضع صليبه على ألَّا يفارقه.

لاحظ **رئيس الدير** محبته وبساطته، فكلّفه الاهتمام بالحديقة. وكان **ثيوذور** يقوم بمهمته بحماس كبير وورع. في يوم من الأيام، كان **يتأمّل السيّد المصلوب**، سأل الرئيسَ بأسى كبير في قلبه: «يا أبتي، مَن هو هذا الذي يحمل صليبه مثلي؟ **وَلِمَ هو مُسَمَّر على صليبه؟**»

أجابه الرئيس: «هذا هو ربنا يسوع المسيح»، وروى له حياة السيّد. منذئذ أحسّ **ثيوذور بمحبة أخوية للمسيح** بسبب تشابه حياتهما، وصار يكلّمه بإلفة.

في أحد الأيام، عندما جلبوا إليه الطعام، فكّر المبارَك: «هل أكل أخي المسيح، تمامًا كما أفعل، عندما كان يسير في الأرض؟ سوف أسأله أن يشاركني طعامي المتواضع، إن كان يرغب».

فيما كان يفكّر بهذه الأمور انفتح الباب فجأة وملأ الكنيسةَ **نور متألّق**. دبّت الحياة في أيقونة السيد المصلوب وبان الرب يسوع المسيح مملوءاً من المجد والجمالِ!

توجّه **المسيح إلى ثيوذور** بالكلمات التالية: «لقد شربتُ وأكلتُ عندما كنتُ على الأرض، والآن لا حاجة لي للغذاء. قريبًا، سوف يحدث لك الأمر نفسه. **أنا ابن آب غنيّ**. سوف أمضي إليه سريعًا وآخذك معي. سوف أريك مجده وسوف تكون معي إلى الأبد!».

في ذلك الوقت، بسبب الإنارة المفاجئة للكنيسة، جرى الرئيس والإخوة في ذاك الاتّجاه. لقد افتكروا أن المجنون أشعل النَّارَ في الكنيسة. عند وصولهم، عاينوا **النُّور الرَّائع** وسمعوا المحادثة الهادئة اللطيفة بين **رجل مجهول وثيوذور**. تجنّب المبارَك الإجابةَ على أسئلتهم حول ما جرى مُدّعيًا الجهل.

في النهاية، أخبر **ثيوذور** الرئيس عن الإعلان. بانذهال كبير، سقط الرئيس عند قدمي المبارَك راجيًا إياه: «بالحقيقة أنت أخو المسيح. يا رجل الله، توسّل من أجل أن يأخذني معك إلى بيت أبيه».

في تلك الليلة، بكل البساطة والجرأة المعتادتين، صلّى **ثيوذور** من أجل الرئيس. فظهر له **المسيح** مجددًا وقال له: «على الرئيس أن يتابع بالجهاد هنا». عندما عرف الرئيس ما قال الرب، ترجّى **ثيوذور** بدموع: «صلِّ إلى المسيح، الذي صُلِب من أجلنا، ليرحمني بشفاعة الفائقة القداسة والدته على الرغم من أني غير مستحق لبيت أبيه».

صلّى المبارَك مجددًا للرب يسوع المسيح الذي أجاب: «من أجل والدتي، خلال أربعين يومًا سوف آخذ رئيسك معك إلى بيت أبي».

من بعد هذا، قضى **الرئيس وثيوذور** أيامهما في الصلاة. عندما انتهت الأيام الأربعون، رقدا بسلام وهما في وضعية الصلاة!

الإنسان العقلاني

بحسب القديس أنطونيوس

د. قسطنطين كافارنوس

القديس أنطونيوس (٢٥٠-٣٥٦) هو أحد أكبر معلمي الحياة الروحيَّة في المسيحيَّة الشرقيَّة، وقد تمتّع بأعلى درجات الاحترام لدى مسيحيِّي الشرق منذ زمانه حتى الحاضر. أحد أبرز مُحِبِّيهِ كان **القديس أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية** الذي عرفه شخصيًا وكتب سيرته التي هي أهمّ مصادر ما نعرف عنه. من مُحِبِّيهِ البارزين أيضًا **القديس مكاريوس مطران كورنثوس** (١٧٣١-١٨٠٥) **والقديس نيقوديموس الأثوسي** (١٧٤٨-١٨٠٩) اللَّذَيْنِ أَدْرَجَا في مطلع الفيلوكاليا، التي جمعاها ونقحاها وطبعاها سنة ١٧٨٢، عملًا يحتوي الكثير من الأقوال والملاحظات التي نُسبَت إلى **القديس أنطونيوس**.

بالرغم من أنه كان أُميًّا، صار **القديس أنطونيوس** رَجُلًا ذا حكمة وفهم روحِيَّين مُمَيَّزين، قادرًا على تعليم الآخرين بكلمة الفم في ما يتعلّق بخليقة **الله** وتدبيره ونعمته، وفي ما يختصّ بالطبيعة والمصير البَشَرِيِّين، والسُّبل التي تؤدّي بالإنسان إلى الكمال الشخصي والخلاص. أجزاء من تعليمه، بما فيها تلك التي يحويها العمل المذكور أعلاه، سجّلها آخرون ممن استمعوا إليه وتأثروا بقيمته، وذلك للتذكير بشخصية الناس والحياة الفاضلة. الكثير من الأفكار المميزة محتواة في مجموعة الأقوال هذه. إحدى هذه الأفكار هي: «**الإنسان العقلاني**». قد قيل الكثير عن هذا الموضوع بشكل مُبعثر وليس في جزء محدَّد منفصل. وإذ أتمنّى أن أقدّم تعليم **القديس أنطونيوس** حول هذا الموضوع بشكلٍ دقيقٍ وَمُعَبِّرٍ قدر الإمكان، فقد ترجمتُ المقاطع المعنيّة عن النص اليوناني الموجود في الفيلوكاليا، وجمعتها بنفس التسلسل الذي يظهر في هذا العمل، وقدّمتها كما يلي مع بعض الملاحظات التفسيريَّة.

الإنسان العقلاني عند **القديس أنطونيوس** ليس المتعلّم ولا الباحث، ولا المفكّر المجادل أو المتأمل. إنه الإنسان المتمحور حول **الله**، الذي يوجّه كلّ فكره وطموحه نحو **الله**، الذي تحوّل بشكل قاطع عن الأرضي والمؤقّت نحو **السماوي والأبدي**؛ الذي يختار الصلاح ويعمله ويتحاشَى الشرّ، أو أقلّه يسعى بشكل واعٍ إلى ذلك. إنه الرجل الذي غيّر داخله بشكل جذري.

المَلَكَة العقلانية بالنسبة **للقديس أنطونيوس** أي الصفة المميّزة للإنسان، هي ما يفرّقه عن البهائم ويجعله قريبًا من **الله** ويوحده به. يفهم هذه المَلَكَة على أنها قبل كل شيء قوة فهم القِيَم، **تمييز الخير عن الشرّ**، تنظيم حياة الإنسان الداخلية والخارجية، مع الرغبة في اكتساب أو صنع ما هو صالح وتجنّب أو تَخَطِّي الشرّ، والتأمّل **بالله**. بتعبير آخر، إن مهمة العقل التي تُعتَبَر مهمّة ليست التحزرية بل الأخلاقية، ولا الخطابية بل البديهية والتأملية.

تحضر هذه المَلَكَة بحسب **قديسنا** في أغلب الناس بحالة كامنة غير ناشطة، **ميتة كأخلاقية وقوة تأملية**. الناس بدلًا من أن يحكمهم العقل، **تسيطر عليهم الرغبات غير العقلانية**، وبدلًا من أن يكون اتجاههم، كما ينبغي أن يكونوا، إلى الأبدي والإلهي، فهم غارقون **في الوقتي والمادي**. إن نفوسهم **في حالة من الظلام** مجردةٌ من النور الإلهي. هذا يتبعه أنهم ، بالمعنى الدقيق للكلمة، ليسوا بَشَرًا. وحده **الإنسان العقلاني**، صاحب المَلَكَة العقلانية الناشطة العاملة هو إنسان بالمعنى الدقيق للكلمة.

واضح أن الإنسان العقلاني عند **القديس أنطونيوس** ليس إلَّا إنسان الرسول بولس الجديد (رو١٢:٢)، أي المتصوّف المسيحي، القديس أو مَن هو على الطريق ليكون كذلك.

قد يبدو تعليم **القديس أنطونيوس** غريبًا بالنسبة للكثيرين من **المسيحيين غير الأُرثُوذكسِيِّين** لأن **المسيحية الغربية** مالت إلى نفي العقل من الحياة الروحية أو أقلّه إلى تقليص دوره. من جهة أخرى، الأرثوذكسيون المتآلفون مع تقليدهم الطويل، سوف يجدون أن هذا تعليمهم وموقفهم التقليدي معبَّراً عنه بطريقة مؤكّدة واضحة.

وَاجِبُ ٱلنَّاسِ أَنْ يَتُوبُوا
وَلٰكِنْ تَرْكُ ٱلذُّنُوبِ أَوجَبْ
وَٱلدَّهرُ فِي تَصَرُّفِهِ عَجِيبٌ
وَغَفْلَةُ ٱلنَّاسِ أَعْجَبْ
وَٱلصَّبرُ عِنْدَ ٱلْمَصَائِبِ صَعْبٌ
وَلٰكِن فَوَاتُ ٱلثَّوَابِ أَصْعَبْ
وَكُلُّ مَا تَتَمَنَّى قَرِيبٌ
وَٱلْمَوْتُ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ أَقرَبْ

رحمة الله الظاهرة للبشر في تجسد ابن الله

القديس يوحنا الذهبي الفم

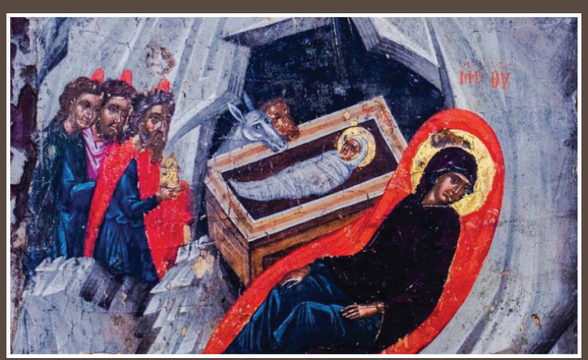

يقول **القديس بولس الرسول**: «لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ.» (افس٢: ١٤).

الحق! إن المتجسد من العذراء نقض حائط السياج الحاجز، وصار الاثنان واحدًا. تبدّد الظلام وأشرق النور وغدا العبيد أحرارًا والأعداء بنين. زالت العداوة القديمة وساد السلام المرغوب من الملائكة والصِدّيقين منذ القديم، لأن الأمر المدهش قد تمّ، وهو أنّ ابن الله صار إنسانًا، فتبعته الأشياء كلّها، المخلِّص يضع ذاته ليرفعنا، وُلِدَ بالجسد لتولد أنت بالروح.

سَمَحَ للعبد أن يكون له أبًا، ليكون السيِّد أبًا لك أيها العبد. فلنفرح ونبتهج كلنا. لأن «إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يوحنا ٨:٥٦) فكم بالحري نحن الذين رأينا الرب في الأقمطة! لذلك، يجب علينا أن نُسَّر ونبتهج بعظمة إحسانه.

إنه لأمرٌ يستحق الانذهال. لقد ساد السلام لا لمبادرتنا إلى الرب **نحن الذين أخطأنا إليه وكدرناه**، بل لأن الساخط علينا نفسه قد شَفِقَ علينا. «إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ.» (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠) ، إذ خلق العلي بنعمته وحدها الانسان وأعطاه على الأرض أجمل مكان ليعيش فيه، ووهبه وحده العقل بين المخلوقات كلها، وسمح له برؤيته تعالى، والتلذُّذ بالحديث معه، ووعده بالخلود، وَمَلأَهُ بالنِّعَمِ الرُّوحِيَّةِ حتى أن الإنسان الأوَّل تنبأ؛ ولكنه بعد هذه الخيرات كلها **رأى العدو أجدَرَ بالإيمان** ممن وهبه جميع ما ذُكر، **فاحتقر وصية الخالق وفضَّل من كان يعمل على هلاكه بكل الوسائط**. ومع ذلك فما أباد الله الارض كما تقتضي العدالة، **لِمَا أظْهَرَ الإنسان من العُقوقِ وعدم معرفة الجميل**. بل صار يُعْنَى به أكثر من الأول، لأن الخطر اشتد كثيرًا **بعد استسلام جنسنا للإثم، وتعرضه للهلاك**. ولكن الآب السماوي اهتم للخاطئ وحدَّثه كصديق مُبَيِّنًا له **خطر الهلاك المُحْدِقُ به**، ثم أعطاه الشريعة كمساعد له، وأرسل الأنبياء لتعليمه ما يجب عليه أن يفعل.

ثم أرسل له وريثه نفسه –أي ابنه– «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غلاطية٤: ٤–٥) لذلك نرى **نبي الله** متعجبًا من حكمة الضابط الكل وصارخًا : «هذَا هُوَ إِلهُنَا وَبَعْدَ ذلِكَ تَرَاءَى عَلَى الأَرْضِ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الْبَشَرِ.» (باروك ٣: ٣٨)، **ابن حقيقي لِآب أزلي** لا يُعَبَّر عنه ولا يُدْرَك، اجتاز أحشاء بتولية، وتنازل ان يُولَد من عذراء، ولم يكفّ عن العمل والشروع بالأشياء حتى جاء بنا **نحن الأعداء إلى الله**، وصيّرنا اصدقاء له، فكان كمن يقف بين اثنين متقابلين باسطًا ذراعيه لهما ليوحدهما معًا. **هكذا فعل ابن الله موحدًا الطبيعة الإلهية مع البشرية**، أي خاصته مع خاصتنا.

هذه وفرة نعمة الرَّبّ. إنَّ الذي غضب يسعى للسلام قاهِرًا المغتصب. قد يخلع الملك تاجه أحيانًا ويلبس حُلَّة جندي بسيطة حتى لا يعرفه أحد من أعدائه. **أمَّا السيِّد المسيح** فقد جاء لابسًا حُلَّتنا حتى يُعرف، ولا يدع العدو يفر هاربًا قبل القتال، ويدعو أتباعه إلى الاضطراب، **إن غاية ابن الله هي الخلاص لا الإرهاب**.

ربما تقول: لماذا لم تكمل هذه المصالحة بواسطة أحد الأرواح غير المتجسدة أو أحد البشر، بل بواسطة كلمة الله؟ فالجواب لأنه لو حصلنا على الخلاص بواسطة أحد الصديقين لما عَلِمْنَا مقدار عظم اهتمام السيِّد بنا، ولما أصبح موضوعًا للإعجاب مدى الأجيال. فانه ليس بالأمر المدهش الفريد لو دخل مخلوق في الاتحاد مع مخلوق آخر؛ وبالتالي، لما قدر الإنسان أن يعمل عملاً إلهيًا.

وسرعان ما يسقط الأرضي، كما عمل اليهود، إذ حوّلوا خلاصهم المعْطَى لهم **بواسطة موسى** إلى شرور أشدّ من التي تحمّلوها في أرض مصر، وكادوا يُؤَلِّهون **موسى** بعد موته. إنهم أرادوا أن ينادوا به إلهًا، وهم يعلمون أنهم معه من طبيعة واحدة. وأخيرًا لو أرسل ملاكًا أو بشرًا لاجل إنقاذنا من السقوط لما حَصَلْنَا على الخلاص، ولا قَدِرْنَا أن نقترب من الذي حصلنا عليه الآن. ولو أن قوام خلاصنا حصل من طبيعة ملائكية أو بشرية فكيف يُعطى لنا أن نجلس عن يمين الآب السماوي ونصير أعلى من الملائكة ورؤساء الملائكة، ونستحق ذلك الشرف الذي تتمنى القوات العلوية الدخول في مجده. ولو حُرِمَ الجنس البشري من هذا النصيب المغبوط ألَا يُظهر **عدونا القديم كبرياء أعظم من الاولى** ويفكر بتهييج السماء ذاتها؟ فمن أجل هذه الاسباب وغيرها أخذ ابن الله الطبيعة البشرية وكمّل خلاص الجنس البشري كله.

وعليه إذا تصورنا عظمة تنازل **الله** فلنعطِ السَّيِّد الشرف الواجب، لأننا لا نقدر أن نكافئه إلَّا بخلاص نفوسنا، وبالاهتمام بالقريب. وليس من عيد أفضل **من اهتمام المسيحي الحقيقي بالقريب، والاجتهاد بخلاصه**. لأنّ المسيح لم يُرْضِ ذاته بل الكثيرين. هكذا يقول **رسول المسيح**: «كَمَا أَنَا أَيْضًا أُرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي، بَلِ الْكَثِيرِينَ، لِكَيْ يَخْلُصُوا.» (١كور ١٠: ٣٣).

عن كتاب منهج الواعظ لأبيفانيوس مطران عكار، ١٩٧١

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس
خوندروبولوس

الجزء الثالث

✝ الفصل الثالث ✝. (تابع)

فأجاب نكتاريوس:

– «نعم للأسف أعرف ذلك، ولكن ...

– لماذا تقول للأسف؟ هذا غير مقبول! إن أهم ما في الأمر يا أبتِ هو التعليم الموسوعي والكلاسيكي، والثقافة الأدبية، ومعرفة اللغة اليونانية القديمة.

– لا يا سيدي الرئيس، بل الأهم هو التعليم بحسب يسوع المسيح.

– أجل أجل، هذا هو الأمر الذي تشدّدون عليه أنتم الكهنة الرهبان. ولقد أُخبرت من جهة أخرى...

– اسمح لي أن أسألك، من أخبرك: الزملاء، أم الأساتذة، أم الطلاب؟

– انه سرّ، ولا يعنيك.

فقال نكتاريوس:

– حسنًا

– لقد قيل لي انك تهتم كثيرًا بلِحَى الطلاب. وهذا أيضًا غير مقبول! إذ لم ينص عليه النظام.

فأجاب نكتاريوس:

لكن النظام يدعو للمحافظة على المظاهر الجدية والرجولية.

– دعنا من المبالغة يا صاحب السيادة. إن أساليبكم لا تحظَى برضانا الكامل: لقد تغيّرت الأزمنة، **ولم نعد على عهد كابوديستریاس**.

فرفع نكتاريوس عينيه ثم أخفضهما من جديد ... وتنفَّسَ بعمق ثم زفر وتنفس من جديد ... وفجأة وجد نفسه وحيدًا: لقد خرجَ مُحَدِّثُهُ وطَرَقَ الباب وراءه.

وتساءل نكتاريوس هل كان يجب أن يعانده؟ أن يُبرِّر أعماله؟ أن يُناقش؟ لا، فقد قال له مرة عجوز تعرّفَ إليه في **دير سيناء** انَّكَ إذا أعطيتَ قليلًا من السلطة لرجل يوناني، فانّه يظن نفسه **الإسكندر الكبير** ويطلب أن ينحني له الجميع. ونهضَ نكتاريوس ورسم إشارة الصليب ثلاث مرّات. وحدَّقَ في أيقونة المسيح الذي يركع ويجرّ نفسه حاملًا صليبه، وقال:

– سأصبر يا سيّدي، سأصبر.

الجزء الرابع

«وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ.» (غلاطية ٥:٢٢).

في الصيف التالي تَسَنَّى لنكتاريوس أن يَنْعَمَ ببعض الارتياح بعد خيبات الأمل التي واجهها في البداية. واستطاع أن ينعَم بالهدوء والدراسة والصلاة. أيُّ راحة يحصل عليها الإنسان بالصلاة! إنها محادثة من أعماق القلب مع يسوع الكلّي الوداعة، الكلمة القدير والمخلِّص. كم تُخفِّف أعباء القلب! وتُقوّي الاستعداد الداخلي للجهاد، وتُعطي أجنحة للشجاعة!

سوف تبقَى ذكرى صلوات الغروب والسَّحر، خلال ذلك الصيف الأول في المدرسة، محفورة في ذاكرة نكتاريوس إلى الأبد، إلى جانب الخِدَم المقدّمة لوالدة الإله. لقد كانت هذه المحادثات مع **الوالدة العظيمة، والدة عمانوئيل**، تُذهِب الحزن وتُقَطِّر في النفس بلسم السلام.

وقد جاء الصيف بسرعة، وكان شديد الحرارة. وتهيّأ للناس أن أثينا سوف تحترق. وكان نكتاريوس ينهض كل يوم عند الفجر. وقد اعتاد أن يهتم بزراعة الحديقة بعد الصلاة السَحَرِيَّة. كان هذا العمل يذكّره بتعب الإنسان القديم: تحضير الأرض حتى تكشف عن ألوان أسرارها المخبأة وحياتها. وقد بدأ بزراعة بعض النباتات والأزهار. وكان يسقيها ويزرع غرسات جديدة، ويراقب نموّها الصامت. وفي الوقت نفسه كان يتحضّر للعالم الدراسي القادم. كان يتدارسَ وَيُخَطِّطَ في سبيل النجاح. أجل كان عليه أن ينجح في تفهّم نفسية هؤلاء الطلاب الشباب والمزارعين الأشداء. كان عليه أن يغرس في قلوبهم الطريّة **قوّة الإيمان المقدس المحيية وخوف الله**. وأن يوقظ في الوقت نفسه اهتمامهم **بكنوز آباء الشرق**. والويل له إذا تهاون في تأدية هذه المهام، وإذا تنصَّل من مسؤولياته، أو أهمل ولو جزءًا صغيرًا في واجبه المقدّس! اجل لأنه إذا نسي وتسبّب بحصول مثل هذه الكارثة، فيكون الأفضل له لو مات وهو ما زال طفلًا.

كُل صباح تقريبًا وخلال الصلاة السَحَرِيّة، كان يتهيّأ له أنه يرى السيّد أمامه بلحمه ودمه، الذي لامسته أيدي الناس وقام من بين الأموات. وكأنه كان يسمعه يقول له: **ها إنّي أُصلي للآب من أجلك، وأمّا انتَ فثبّت الشُّبان، ثبِّت إخوتي.**

الأرثوذكسيّة (٨٨)
قانون إيمان لكل العصور

وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا

شرح لطقس المعموديّة (تتمة)

شهادة شخص من خارج الكنيسة بخصوص المعموديّة المقدّسة:

دُعِيَ شخصٌ ما من خارج الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة لحضور مراسم العماد المقدَّس، فكان تعليقه على ما رآه:

«إنَّ أقرب طقوس للمعموديّة المقدَّسة التي قرأتُ عنها في معموديّة المسيحيّين الأَوَائِل، هي تلك التي رأيتها عندما دعاني أُسقف أُرثوذكسي لحضور معموديّة طفل. إنَّ التعزيم (**جحد الشيطان**) عند باب الكنيسة، وتبريك الماء بالترانيم والصلوات التي قدَّمها رجال الكهنوت، ثُمَّ تلاوة الإشبين لقانون الإيمان ومعموديّة الطفل بغمره كاملًا في الماء وهو عارٍ تمامًا، ثُمَّ دهنه كله: بـ «ختم موهبة الروح القُدس» ، وارتداء المُعَمَّد الجديد للثوب الأبيض، وتناوله بعد ذلك **لدم المسيح** .. كل هذا وإن تغيَّرت فيه بعض التفاصيل، ولكن المراسِم والطقوس في مجملها هي الأقرب جدًّا لمَا ذَكَرَهُ أو عَرَفَهُ هيبوليتس أو ترتليان أو كيرلُّس الكبير أو المغبوط أُغسطينوس. هذا الذي يختلف تمامًا عمَّا يُجريه حاليًا بعض المنشقين – (**الكنائس غير الروميّة الأرثوذكسيّة**) ».

استمر فيما قَد صِرتَ إليه:

ليست المعموديّة هي نهاية المطاف أو كل شيء لتصير مسيحيًّا. إنَّها فقط البداءة، ويَلزَم أن نُواصِل ونستمر لنَظَلَّ على ما قد صِرنا إليه.

تَصَوَّر معي شابًا له من العمر ١٨ عامًا ووقَّع عَقدًا ليصير ملاحًا وصار بالفعل ملاحًا في الخطوط البحريّة ومعه شهادة تُثبت ذلك، ولكن تَصَوَّر معي أيضًا ملاحًا آخرَ له من العمر ٤٥ عامًا خبرةً في الملاحة، فإنَّ هذا سوفَ ينظُر إلى صاحب ال ١٨ عامًا ويقول له: «أيُّها الملَّاح، إنَّكَ لم تبدأ بعد أن تكون ملاحًا». إنَّه يقول له رغم أن معه شهادة ترخيص ملاحيّة، وقد خصَّص نفسه للعمل في الملاحة. إنَّ ما ينقصه هو أن يُواصِل وأن يستمر في المُضِيّ قُدُمًا لِيُحَقِّقَ بالفعل ما قد يَصبُو إليه.

هذا ما نعنيه بالضبط بخصوص المعموديّة. إنَّ الله قَبِلنا في المعموديّة لنكون أبناءَ له، كما سلّمنا نحن أنفسنا له ليكون لنا سيِّدًا، وتسلَّمنا أوراقنا، أي شهادة المعموديّة. ولكن هذا كلّه لا يعني نهاية الرحلة بل بدايتها. يلزم أن نستمر في المحافظة على ما نلناه لنحقّق الإمكانيات التي قد أُعطِيَت لنا.

مُلَخَّص:

لنُلخِّص ما عمله الله لأجلنا في المعموديّة. إنَّ أوَّل كُلّ شيء هو أنَّ المعموديّة تقول لنا مَن نكون نحن. مِن أعظم مشاكل الإنسان اليوم هو **أنّه فقَدَ هَوِيَّتَهُ**. نحنُ لا نعلم من نحن. عندما نعتمد فإنَّ الله، بما لا يعتريه شكٌّ ولكن بكل تأكيد وبتعبيرات مُحَدَّدة، يقول لنا مَن نحنُ: «هذا ابني (أو ابنتي) الذي به سررت». نحن أبناء الله. نحن محبوبون له من لحظة ميلادنا الجديد، منذ حَمَلَنَا على ذراعيه ووَضَعَ علينا قُبلة محبَّته **من خلال المعموديّة المقدسة والمسحة والتناول**. الله صَيَّرنا وَرَثَة لكنوزه، لميراثه، لغناه. وجودنا ليس مثل وجود الديدان التي يطأها شخص ما ثم يسحقها لتصير إلى عَدَم ونسيان. نحنُ لسنا: «لا أحد» ، لا يعتني بنا أحد. نحن: «**أشخاص**» **مَلِكَ الكون، الإله السماوي، مُدَبِّر العالم** الذي يعتني بنا بدرجة كافية تجعله يدعونا أولاده وبناته الخصوصيين. وعند نهاية مطاف رحلتنا وسَفَرنا وسياحتنا القصيرة في هذا العالم، فإنَّه سوفَ يُخاطب كل واحد منَّا شخصيًّا باسمه ويقول له: «تعال **يا ابني يوحنا، تعالي يا ابنتي فيبي**، رِث الملكوت المعدّ لك منذ تأسيس العالم».

قد نُسأل أحيانًا: «ما الذي تعرفه بالتأكيد؟» يمكن لكل شخص مسيحي رومي أورثوذكسي مُعَمَّد أن يُجيب على هذا السؤال بقوله: «هذا ما أعرفه بالتأكيد أنّ الله يُحبني، وقد أعلن هذا وأظهره عندما اعتَمَدتُ، وأنا متأكدٌ أنَّه لا يقدر شيءٌ في هذا العالم، حتى الموت، أن يفصلني عن محبَّته. أنا أعلم هذا لأنني اعتمدتُ لاسمه».

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعةَ عشرةَ «في الروح القدس» (تابع)

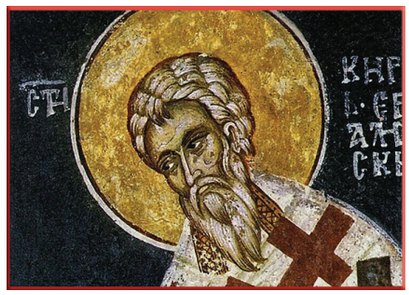

العظة السابعةَ عشرةَ
في الروح القُدس (تابع)

٢٢- عجائب بقوّة الروح القُدُس:

«وَجَرَتْ عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ كَثِيرَةٌ فِي الشَّعْبِ.» (أعمال ٥:١٢). وكانت النعمة الروحيّة فائضة على الرُسل، بحيث كانوا يُبْدُونَ مخيفين هم الودعاء «وَأَمَّا الآخَرُونَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَجْسُرُ أَنْ يَلْتَصِقَ بِهِمْ، لكِنْ كَانَ الشَّعْبُ يُعَظِّمُهُمْ.» (أعمال ٥:١٣). «وَكَانَ مُؤْمِنُونَ يَنْضَمُّونَ لِلرَّبِّ أَكْثَرَ، جَمَاهِيرُ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ،حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى خَارِجًا فِي الشَّوَارِعِ وَيَضَعُونَهُمْ عَلَى فُرُشٍ وَأَسِرَّةٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظِلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَاجْتَمَعَ جُمْهُورُ الْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَامِلِينَ مَرْضَى وَمُعَذَّبِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ، وَكَانُوا يُبْرَأُونَ جَمِيعُهُمْ.» (أعمال ٥:١٤-١٦).

٢٣- الروح القُدُس يعضد الرُسل أمام الحكام:

«فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الرُّسُلِ وَوَضَعُوهُمْ فِي حَبْسِ الْعَامَّةِ. وَلكِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ فِي اللَّيْلِ فَتَحَ أَبْوَابَ السِّجْنِ وَأَخْرَجَهُمْ وَقَالَ: «اذْهَبُوا قِفُوا وَكَلِّمُوا الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ بِجَمِيعِ كَلاَمِ هذِهِ الْحَيَاةِ.» (أعمال ٥:١٨-١٩). ومن الهيكل جاؤوا الى المحفل امام الرؤساء. فاستخدموا الحجج للردّ عليهم فيما يخصّ المسيح. وأضافوا هذا: «وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ» (أعمال ٥:٣٢). «وَدَعُوا الرُّسُلَ وَجَلَدُوهُمْ، وَأَوْصَوْهُمْ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمُوا بِاسْمِ يَسُوعَ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ. وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (أعمال ٥:٤٠-٤٢).

٢٤- عمل الروح القُدُس في الشمامسة الأولين وخاصة استفانوس:

ولكنَّ نعمة الروح القُدُس لم تُثمر فقط في الرسل الإثني عشر، بل كذلك في الأبناء الأبكار لهذه الكنيسة التي كانت فيما مضَى عاقرًا، وأعني بهم الشمامسة السبعة. لأن هؤلاء اختيروا كما هو مكتوب: « وَمَمْلُوئِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ» (أعمال ٦:٣). ومن بينهم اسطفانوس الحسن الإسم « فَاخْتَارُوا اسْتِفَانُوسَ، رَجُلاً مَمْلُوًّا مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ،... وَكَانَ مَمْلُوًّا إِيمَانًا وَقُوَّةً، كَانَ يَصْنَعُ عَجَائِبَ وَآيَاتٍ عَظِيمَةً فِي الشَّعْبِ.» (أعمال ٦:٨). فتصدَّى له مُجادِلوه؛ لكنهم « لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ.» (أعمال ٦:١٠). فَوُشِيَ بِهِ وَسيقَ الى المجلس؛ «فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ، وَرَأَوْا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ.» (أعمال ٦:١٥). وبعد أن أفحمَ اليهود في ردِّه المُفعَم حكمة، وأثبت عليهم أنهم... قائلًا: «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ...» (أعمال ٧:٥١). «وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ.» (أعمال ٧:٥٥). إنّ لم يحدّق بقدرته الخاصّة ، إذ يقول الكتاب: « وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ.» (أعمال ٧:٥٥).

٢٥- فيلبُّس والروح القُدس:

وبنفس قدرة الروح القُدُس طَرَدَ فيلبُّس ، باسم المسيح، في مدينة السامرة، **الأرواح النجسة التي كانت تصرخ بصوتٍ عظيم**. وشفَى المخلَّعين والعُمْيَ، واكتسب للمسيح جمعًا غفيرًا من المؤمنين. ولما نزل عندهم بطرس ويوحنا مَنحاهم، بالصلاة ووضع الأيدي، الشركة في الروح القُدُس، التي استُبعِدَ منها وبحقّ **سيمونُ السَّاحِر**. ودُعِيَ مرّة أُخرى من ملاك الربّ على الطريق بسبب الخصيّ الحبشي التقيّ. وسمع الروح القُدُس يقول له بوضوح: «تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هذِهِ الْمَرْكَبَةَ».(أعمال ٨:٢٩). فعَلَّمَ الحبشيُّ وعمَّده وأرسَله الى الحبشة يبشِّر بالمسيح، وفقًا لما هو مكتوب: «وتبسط كوش يديها الى الله » (مز٦٧:٣٢). ولما خطفه الملاك أَخذَ يبشِّر المدن الواحدة تلو الأخرى.

٢٦- عمل والروح القُدس في بولس:

وبهذا الروح القُدُس ذاته امتلأ القديس بولس بعدما دعاه ربنّا يسوع المسيح. والشاهد لنا على هذه الأقوال هو حنَنيّا البَّار من سكّان دمشق، إذ قال له: «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ، قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ، لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». (أعمال ٩:١٧). وإذ قال هذا لمسَ عينيه وحوَّل عمى عيني بولس الى بصر، وختم نفسه بختم المعموديّة، وجعل منه إناءً مختارًا يحمل اسم الربّ الذي ظهر له الى الملوك وبني إسرائيل (أعمال ١٩:١٦). والذي كان فيما مضَى مضطهدًا، جعله مُبَشِّرًا وخادمًا صالحًا. نَشَرَ الإنجيل من أورشليم حتى الإلليريكوم. وعلَّمَ حتى رومة الامبرياليّة، وأعربَ عن رغبته في تبشير اسبانيا (رومة ١٥:٢٤). وتحمَّلَ ألف مشقة وأتى بآيات واعاجيب. ويكفي الآن ما قلناه عنه.